



الجمهورية اليمنية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القرآن الكريم والعلوم
الإسلامية
نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي
قسم التفسير وعلوم القرآن

القسم بالأزمنة والأمكنة في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

Oaths by Times and Places in the Holy Quran: A Thematic Study

إعداد الطالب /

أسامة ناصر أحمد محمد حسين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير

إشراف الدكتور /

محمد مؤمن محمد بامؤمن

العام الجامعي

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى والدي العزيز.

إلى من جعل الله الجنة تحت قدميها، إلى من كان في دعائها سرّاً في نجاحي،

وحنانها بلسماً لجراحي أُمي الغالية.

إلى من كانت سندي وعوني رفيقة دربي زوجتي الغالية.

إلى أبنائي نور حياتي رتيل ورسل (حفظهم الله).

إلى من ربطتني بهم علاقة النسب .. وعطر المودة .. وورد المحبة.

إلى كل من له جهد في تعليمي،،

إلى كل هؤلاء أهدى هذه الرسالة، راجياً من الله أن تكون نافذة علم، وبطاقة معرفة.

وأن ينفعنا وينفع بنا الإسلام والمسلمين،،

الباحث

شكر و عرفان

بدءًا؛ أتقدم بالشكر التام للواحد للأحد، القادر العليم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والذي ألهمني رشدي وهداني إلى طريق العلم والمعرفة، الذي وفقني لإنجاز هذه الرسالة، وانطلاقًا من قول المولى _ عز وجل_ : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (سورة إبراهيم: ٧). وقول المصطفى ﷺ : «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»^(١)، واعترافًا مني بالجميل؛ أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، إدارةً وأعضاء هيئة تدريس.

والشكر لصاحب الفضل بعد الله ﷻ في تسديد هذا البحث أستاذي ومشرفي فضيلة الدكتور/ محمد مؤمن محمد بامؤمن؛ لما قدم لي من نصائح وتوجيهات وإرشادات كانت لي بمثابة النور في الظلام، أضاءت لي طريقي فاستنرت بنورها، ومضيئ في بحثي مستعينًا بالله المعين، حتى خرج إلى النور، أسأل الله أن يجازيه خير الجزاء وأن يكتب صنيعة في موازين حسناته وأن يمتعته بالصحة والعافية.

كما أشكر فضيلة الأستاذين الجليلين:

الدكتور/.....، المناقش الداخلي.

والدكتور/.....، المناقش الخارجي.

على تفضلهما بقراءة هذه الرسالة، وقبولهما بالمشاركة في مناقشتها وتقييمها، والحكم عليها، وإبداء الملاحظات فيها لتسديدها، فأسأل الله أن يجزيهما خير الجزاء. والشكر موصول لكل من قدم لي يد العون والمساعدة في إنجاز هذه الدراسة.

(١) أخرجه أحمد في مسنده من طريقين عن زياد بن كليب عن الأشعث بن قيس مرفوعاً (٢١١/٥)، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١/٧٧٦).

مستلخص البحث

جاءت هذه الدراسة بعنوان: القسم بالأزمنة والأمكنة في القرآن الكريم" -دراسة موضوعية -.

وتأتي أهمية هذه الدراسة، كونها بيّنت مواضع القسم بالأزمنة والأمكنة في القرآن الكريم. وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. وتناولت الدراسة مفهوم القسم وأركانه وأنواعه وأغراضه في الفصل الأول. وفي الفصل الثاني تناولت القسم بالأزمنة في القرآن الكريم. وفي الفصل الثالث تناولت القسم بالأمكنة في القرآن الكريم، وتم تناولها على قسمين: (الأمكنة العلوية، والأمكنة السفلية).

وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج، لعل أهمها:

- إن الأزمنة التي أقسم الله بها في القرآن الكريم، بلغت ثمانية، وهي: (الفجر والصبح والضحى والعصر والشفق والليل والنهار ويوم القيامة).
- إن الأمكنة التي أقسم الله بها في القرآن الكريم سبعة: (السماء والأرض والبيت المعمور ومواقع النجوم والبلد الأمين والطور والبحر).
- إن القرآن الكريم استعمل القسم لتوكيد الأخبار إثباتاً للحقائق القرآنية، والقدرات الإلهية.
- إن حرف القسم (الواو)، هو الأكثر استعمالاً في أسلوب القسم.
- إن أكثر السور التي ورد فيها القسم هي سور الجزء الثلاثين، إذ جاء في اثنتي عشرة سورة.

Abstract

This study, "Oaths by Times and Places in the Holy Quran: A Thematic Study," aims to investigate the instances of oaths concerning time and place in the context of the Quranic text, shedding light on their functions and meanings. The researcher employs a descriptive-analytical approach to analyze the instances of oaths. The first chapter of the study addresses the concept, pillars, types, and purposes of oaths. In the second chapter, oaths by times in the Holy Quran are discussed, while the third chapter examines oaths by places in the Holy Quran, divided into two categories: celestial places and terrestrial places.

The study concludes with several key findings:

- Allah swears by eight times in the Holy Quran: dawn, morning, forenoon, afternoon, dusk, night, day, and the Day of Judgment.
- Allah swears by seven places in the Holy Quran: the heavens, the earth, the Al-Bayt al-Ma'mur, the positions of the stars, the secure land, Mount Sinai, and the sea.
- The Quran uses oaths to confirm the news as evidence of Quranic truths and divine capabilities.
- The letter "waw" is the most commonly used oath particle in the Quran.
- The majority of oaths occur in the thirtieth part of the Quran, spanning across twelve surahs.

Keywords: Oaths, Times, Places, Quran, Thematic Study, Descriptive Analytical Approach.

المقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وجعله تشريفًا لهذه الأمة، وخصها به وجعله تذكرة للمؤمنين، ودعاهم إلى العمل به، وتكفل بحفظه من التحريف، والتبديل، والتغيير، إلى يوم الوعد والوعيد، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩).

-والصلاة والسلام على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحابتهم الراشدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.... وبعد:

إن أهم ما يعمد إليه الباحث هو التعمق في كتاب الله -تعالى- الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فذلك من أفضل العلوم، وأشرفها مكانة؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، والقرآن الكريم هو كلام الله -تعالى- وبه يظهر مراده إلى خلقه، وكما هو معلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب للناس كافة، وعلى أساليب كلامهم وخطاباتهم، ووقف الناس منه مواقف متباينة، فمنهم من أنكر ومنهم من شكك ومنهم من خاصم وعاند، فجاء القسم في القرآن الكريم لإزالة الشكوك وإحباط الشبهات وإقامة الحجة، وتوكيد الأخبار؛ لتطمئن نفس المخاطب إلى الخبر، لا سيما في الأمور العظيمة التي أقسم الله عليها.

والأقسام التي جاء بها القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، فمنها ما ورد على سبيل الحكاية في ضمن ما قصه القرآن علينا من قصص المخلوقين، ومنها ما أقسم الله به؛ إذ أقسم المولى -سبحانه- ببعض صفاته وأفعاله، وأقسم بالقرآن الكريم، وأقسم ببعض مخلوقاته مع النهي عن القسم بغيره.

ونظرًا للقيمة العلمية والأهمية الكبيرة للقسم، لا سيما وأن الله قد أقسم بأمر عديده في القرآن الكريم، وقع اختيار الباحث على موضوع: (القسم بالأزمنة والأمكنة في القرآن الكريم - دراسة موضوعية)؛ لاستكمال متطلبات الحصول على الدرجة العلمية (الماجستير)، في التفسير وعلوم القرآن.

(١): أهمية الدراسة.

وتتمثل أهمية الدراسة فيما يلي:

- أ- كون الدراسة تتعلق بالقرآن الكريم.
- ب- كون القسم مضاف إلى الله -تعالى-.
- ج - القسم أسلوب من أساليب اللغة العربية في القرآن ومن المؤكيدات المشهورة.
- ج- القسم بالأزمنة والأمكنة في القرآن الكريم مهم، وله علاقة بالعقيدة والأحكام والأخلاق، فهو موضوع جدير بالبحث والدراسة.

(٢) : أسباب اختيار الدراسة.

يعود اختياري لهذه الدراسة إلى سببين:

- ١ - إن موضوع القسم بالأزمنة والأمكنة في القرآن الكريم، جدير بالبحث، ولم يتناوله أحد من الباحثين بدراسة مستقلة.
- ٢ - اهتمام القرآن الكريم بأسلوب القسم.

(٣) : أهداف الدراسة :

يهدف الباحث من خلال عرض وتحليل الآيات المتعلقة بالقسم بالأزمنة والأمكنة إلى جملة من الأهداف أهمها:

(١) التعريف بأسلوب القسم في القرآن الكريم.
(٢) استخراج الآيات التي تتعلق بالقسم بالأزمنة والأمكنة في القرآن ودراستها وتحليلها.

(٣) بيان الحكمة من القسم بالأزمنة والأمكنة في القرآن الكريم.
(٤) الإسهام في خدمة كتاب الله تعالى فيما يخص علم التفسير.
(٥) بيان دلالة ألفاظ القسم بالأزمنة والأمكنة وأسباب ورودها في كل موضع.

(٤): مشكلة الدراسة.

المشكلة تكمن في عدم وجود دراسة متكاملة عن الأزمنة والأمكنة التي أقسم الله بها في القرآن، ويمكن أن نصل إلى حل لهذه المشكلة من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية.

- ١- ما هو القسم وما أنواعه وأركانه وأغرضه؟
- ٢- ماهي الأزمنة التي أقسم الله بها في القرآن الكريم؟
- ٣- ماهي الأمكنة التي أقسم الله بها في القرآن الكريم؟

(٥): حدود الدراسة:

يركز هذا البحث على بيان آيات القرآن الكريم واستنتاج القسم بالأزمنة والأمكنة منها ودراستها دراسة موضوعية، وبناءً على هذا فإن الدراسة كانت

- ١- في حدود آيات القسم بالأزمنة والأمكنة التي وردت في القرآن الكريم .
- ٢- في حدود كتب التفسير وكتب اللغة والحديث.

(٦): منهج الدراسة:

المنهج الذي استخدمته في هذا البحث هو المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي.

(٧): منهجية الدراسة وإجراءات البحث:

وذلك باتباع الخطوات:

- ١) جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع القسم بالأزمنة والأمكنة في القرآن ودراستها دراسة وصفية من كتب التفسير مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث.
- ٢) عزو الآيات والأحاديث إلى مصادرها الأصلية.
- ٣) الرجوع إلى المصادر الرئيسية وبخاصة أمهات كتب التفسير.
- ٤) تخريج الأحاديث من مظانها، مكتفياً بالصحيحين إن كان الحديث فيهما، أو أحدهما.
- ٥) ترجمت للأعلام غير المشهورين من كتب التراجم.
- ٦) توثيق المراجع وفق المتعارف عليه في البحث العلمي، بحيث يكون توثيقاً كاملاً عند أول ورود له، ثم أكتفي باسم المؤلف والكتاب والجزء والصفحة، إذا ورد مرة أخرى.
- ٧) الاستعانة بكتب اللغة لشرح ما ورد من مفردات تحتاج إلى توضيح.
- ٨) فهرسة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأعلام والموضوعات.

(٨): الدراسات السابقة:

من خلال تتبّع الباحث في المكتبات العلمية والإلكترونية والشبكة المعلوماتية (الانترنت) والمركز الوطني للمعلومات في الجمهورية اليمنية، وسؤال أهل الاختصاص في التفسير وعلوم القرآن، وعلى حد علم الباحث فلم يجد الباحث من أفرد هذا الموضوع بدراسة مستقلة، إلا أن هناك بعض الجهود والدراسات التي يمكن الاستفادة منها وهي كالاتي:

- ١ . التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ويقع هذا الكتاب في مجلد واحد. وقد ضمّن المؤلف كتابه هذا اختلافات المفسرين واللغويين في الآيات المذكورة عند القسم مرجحاً بعض الأوجه على بعض، وقد يستطرد في بعض الآيات فيخرج إلى معان أخرى خارجة عن القسم، فيذكر أكثر من مائة صفحة أو نحوها في بحث الأجهزة التي خلقها الله في جسم الإنسان وبيان وظائفها والإعجاز فيها ثم يعود إلى الحديث عن القسم.

واستفاد الباحث من هذا الكتاب عندما تحدث عن تعريف القسم ومفهومه بصورة عامة باعتبار أنه من علوم القرآن، رغم أن المؤلف لم يرتب فيه آيات القسم حسب مواضع محددة، وقد استدرك الباحث آيات القسم ورتبها حسب مواضعها.

٢ . القسم في اللغة والقرآن محمد المختار السلامي، وقد تحدث فيه عن القسم ومرادفاته ومشتقاته بشكل مفصل، ولم يخصص فيه المؤلف، الآيات التي أقسم الله بها، فضلاً عن تحديد الآيات المتعلقة بالأزمنة والأمكنة التي هي موضوع دراستنا.

واستفاد الباحث من هذا الكتاب عندما يتحدث عن مفهوم القسم في القرآن الكريم.

(٩) هيكل الدراسة ويشمل على ما يلي:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس، وتفصيل ذلك كالآتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومشكلة الدراسة، وحدود البحث، والمنهج الذي سار عليه الباحث في البحث، والدراسات السابقة، وهيكل البحث.
التمهيد:

مفهوم القسم بالأزمنة والأمكنة.

أ: القسم لغةً واصطلاحًا:

ب: الزمان لغةً واصطلاحًا.

ج: المكان لغةً واصطلاحًا.

مفهوم القرآن الكريم.

أ: القرآن لغةً.

ب: القرآن اصطلاحًا.

الفصل الأول: (القسم في القرآن الكريم) وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أركان القسم في القرآن الكريم، وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: المقسم.

المطلب الثاني: المقسم به.

المطلب الثالث: جواب القسم، أو المقسم عليه.

المطلب الرابع: أدوات القسم.

المبحث الثاني: أنواع المقسم به في القرآن الكريم وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: القسم بنفسه سبحانه وتعالى في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: القسم بالملائكة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: القسم بالرسول في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: القسم بالقرآن الكريم.

المبحث الثالث: أغراض القسم في القرآن الكريم وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التأكيد على الأشياء المقسم عليها وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الثاني: الاهتمام بالمقسم عليه.

المطلب الثالث: التنويه بحال المقسم به.

الفصل الثاني: القسم بالأزمنة في القرآن الكريم، وفيه مبحثين:

المبحث الأول: القسم بالفجر والصبح والضحى والعصر:

المطلب الأول: القسم بالفجر.

المطلب الثاني: القسم بالصبح.

المطلب الثالث: القسم بالضحى.

المطلب الرابع: القسم بالعصر.

المبحث الثاني: القسم بوقت الشفق والليل والنهار والقيامة:

المطلب الأول: القسم بالشفق.

المطلب الثاني: القسم بالليل.

المطلب الثالث: القسم بالنهار.

المطلب الرابع: القسم بيوم القيامة.

الفصل الثالث: القسم بالأمكنة في القرآن الكريم، وفيه مبحثين:

المبحث الأول: القسم بالأماكن العلوية.

المطلب الأول: القسم بالسماء .

المطلب الثاني: القسم بمواقع النجوم .

المطلب الثالث: القسم بالمشارك والمغرب .

المبحث الثاني: القسم بالأماكن السفلية .

المطلب الأول: القسم بالبلد الأمين .

المطلب الثاني: القسم بالطور .

المطلب الثالث: القسم بالأرض .

المطلب الرابع: القسم بالبحر .

الخاتمة: وفيها سنذكر النتائج والتوصيات التي سنخلص بها من هذا البحث .

فهرسة الآيات والأحاديث والأعلام، والمصادر والمراجع، والمحتويات .

التمهيد:

استعمل القرآن الكريم التوكيد وهو أسلوب من أساليب القول، وفن من فنون التعبير لغرض تقوية مضمون الكلام، ومن أقوى أساليب التوكيد وطرقه؛ هو القسم، وقد ورد بأربعة صيغ في القرآن الكريم: وهي: (القسم، والحلف، واليمين، والإيلاء).

أولاً: مفهوم القسم بالأزمة والأمكنة في اللغة والاصطلاح.

أ . مفهوم القسم في اللغة والاصطلاح.

القَسَمُ في اللغة:

القَسَمُ مصدر قَسَمَ يَقْسِمُ قَسَمًا، والقِسْمَةُ مصدر الاقتسام، ويقال أيضًا: قَسَمَ بينهم قِسْمَةً. والقِسْمُ: الحظ من الخير ويجمع على أقسام. والقَسَمُ: اليمين، ويجمع على أقسام، والفعل: أقسَمَ^(١).

وقد أقسم إقسامًا، هذا هو المصدر الحقيقي، وأما القسم فإنه اسم أقيم مقام المصدر، (وتقاسما: تحالفا) من القسم هو اليمين، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ (النمل: ٤٩). تقاسما (المال اقتسامه بينهما). فالإقتسام والتقاسم بمعنى واحد، والاسم منهما القسمة^(٢)، والاستقسام: طَلَبُ الْقِسْمِ الَّذِي قُسِمَ لَهُ وَقُدِّرَ مِمَّا لَمْ يُقْسَمَ وَلَمْ يُقَدَّرْ^(٣).

(١) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، الفراهيدي، (ت: ١٧٠هـ)، دار ومكتبة الهلال، (٥-٨٦).

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين (٣٣/٢٦٩).

(٣) المصدر نفسه (٣٣/٢٧٤).

وقد أرجع ابن فارس^(١) أصل مادة قسم إلى أصلين صحيحين، "يدل أحدهما: على جمال وحسن، والآخر: على تجزئة شيء. فالأول القسام، وهو الحسن والجمال، وفلان مقسم الوجه، أي ذو جمال. والقسمة: الوجه، وهو أحسن ما في الإنسان. قال:

كأن دنانيرًا على قسماتهم وإن كان قد شف الوجوه لقاء

والقسام، في شعر النابغة^(٢): [شدة الحر]. والأصل الآخر القسم: مصدر قسمت الشيء قسمًا. والنصيب قسم بكسر القاف. فأما اليمين فالقسَم. قال أهل اللغة: أصل ذلك من القسامة، وهي الأيمان تقسم على أولياء المقتول إذا ادعوا دم مقتولهم على ناس اتهموهم به. وأمسى فلان متقسما، أي كأن خواطر الهموم تقسمته^(٣).

القسم في الاصطلاح:

من خلال المفهوم اللغوي للقسَم، فإن أسلوب القسم في الاصطلاح: "طريق من طرق توكيد الكلام وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم، أو يؤتى به لدفع إنكار المنكرين أو إزالة شك الشاكين"^(٤).

(١) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المعروف بالرازي المالكي اللغوي، كان رأسًا في الأدب، واللغة بصيرًا بفقهِ مالك من تصانيفه: ((معجم مقاييس اللغة)) و((الصاحبي))، (ت: ٣٩٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبية (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ: (١٧/١٠٣).

(٢) قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة، ويكنى أبا ليلي، صحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ومدحه. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ (٣/٣٨).

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ابن فارس، (ت: ٣٩٥هـ)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (٥/٨٦).

(٤) دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ)، الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م (ص: ٣١٧).

وعرّفه أبو الحسن المرسي^(١): "هو يمين يقسم بها الحالف ليؤكد بها شيئاً يخبر عنه من إيجاب أو جحد، وهو جملة يؤكد بها جملة أخرى، فالجملة المؤكدة هي المقسم عليه، والجملة المؤكدة هي القسم والاسم الذي يدخل عليه حرف القسم هو المقسم به، مثال ذلك: أحلف بالله أن زيداً قائم. فقولك إن زيداً قائم هي الجملة المقسم عليها، وقولك أحلف بالله هو القسم الذي وكدت به أن زيداً قائم، والمقسم به اسم الله - عز وجل -، وكذلك كل اسم ذكر في قسم لتعظيم المقسم به فهو المقسم به"^(٢).

وخلاصة التعاريف السابقة للقسم فالقسمُ: "توثيق أمر غير ثابت المضمون، ماضياً أو مستقبلاً، نفياً أو إثباتاً، بذكر اسم من أسماء الله - عز وجل -، أو صفة من صفاته"^(٣).

(١) علي بن أحمد، وقيل ابن إسماعيل أبو الحسن النحوي اللُّغوي المعروف بابن سيده الضَّرير الأندلسي، (ت: ٤٦٠هـ)، إمام في اللُّغة والعربية، وكان نادرة وقته، وله شعر جيد، نها كتاب المحكم في اللُّغة، وكتاب المخصص، وكتاب الأنيق في شرح الحماسة، وغير ذلك. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢ م. (٢٢٥/٢).

(٢) المخصص، أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: ٤٥٨هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (١٧١/٤).

(٣) الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، اشترك في تأليف هذه السلسلة: الدكتور مصطفى الخن، الدكتور مصطفى النُّغا، علي الشَّرْبجي، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الرابعة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م (٨/ ٢٢٢).

ب . مفهوم الزمان في اللغة والاصطلاح.

لقد ارتبطت مفاهيم كثيرة بالزمن، كالماضي والحاضر والمستقبل والتاريخ، وغير ذلك، فالزمن مقياس لحياتنا التي نمر بها، وله معنيان: الأول: بالمعنى البشري. والثاني: بالمعنى الإلهي، كما بينته الآيات القرآنية في وصف يوم القيامة، وغيره.

مفهوم الزمان في اللغة:

الزمن والزمان: "اسم لقليل الوقت وكثيره، ويجمع على أزمان وأزمنة وأزمن. ولقيته ذات الزمَيْن، تريد بذلك تراخي الوقت، كما يقال: لقيته ذات العويم، أي بين الأعوام. وعاملته مزمنة من الزمن، كما يقال مشاهرة من الشهر. والزمانة: آفة في الحيوانات. ورجل زمن، أي مبتلى بين الزمانة"^(١).

مفهوم الزمان في الاصطلاح:

أما مفهوم الزمن في الاصطلاح: فقد عرّفه الزركشي إذ يقول: "إن الزمان الحقيقي هو مرور الليل والنهار"^(٢). والزمان: "هو مقدار حركة الفلك"^(٣).

ولا يخفى ما بين هذا المعنى والمعنى اللغوي من ارتباط وثيق. وبالنظر في القرآن الكريم، فإننا نجد أنه لم يستخدم مصطلح "الزمن" وإنما وردت فيه ألفاظ دالة على

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م (٥ / ٢١٣١).

(٢) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية (٤ / ١٢٣).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (٢١ / ١٢١).

الزمن، ومن ذلك: الوقت. قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ
 ﴿٣٨﴾ (الحجر: ٣٧ - ٣٨). والحين: قال تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ
 وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ (هود: ٥). والدهر: قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ
 حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ (الإنسان: ١) (١).

ج . مفهوم المكان في اللغة والاصطلاح.

المكان في اللغة:

المكان والمكانة واحد، والمكان الموضع، والجمع أمكنة كقذال (٢) وأقذلة، وأماكن
 جمع الجمع (٣). وحكي في جمع مكان أمكن، وهذا زائد في الدلالة على أن وزن الكلمة
 فعال دون مفعل (٤).

والمكان في الاصطلاح: هو: "ما يوضع الشيء فيه، وما يعتمد عليه كالأرض
 للسريـر" (٥). ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي (٦).

-
- (١) ينظر: قيمة الزمن في القرآن الكريم، د. عودة عبد الله، بحث منشور في مجلة البحوث
 الإسلامية، بواسطة: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، (العدد: ٧٤) (٣٢٥).
- (٢) قذال: جمع قذلة، وهو ما يبقى من الشعر بعد قصه، وهو يغطي النصف الأعلى من الجبهة.
 ينظر: تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دوزي (ت: ١٣٠٠هـ)، الناشر: وزارة الثقافة
 والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م (٨ / ٢٠٦).
- (٣) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (مكن) (١٣ / ٤١٣).
- (٤) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، مادة (كون) (٣٦ / ٧٩).
- (٥) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت،
 الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة (٣٨ / ٣٦٧).
- (٦) ينظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد
 الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت: ٧٩٤هـ)، الناشر: مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء
 التراث، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨ م (٤ / ٨٩٨).

ثانياً: مفهوم القرآن في اللغة والاصطلاح.

لقد اجتهد كثير من العلماء قديماً وحديثاً في إيجاد تعريف القرآن، فمنهم من تناوله من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، وهو الأغلب، ومنهم من اقتصر على الجانب الاصطلاحي.

فالقرآن في اللغة:

"من مادة قرأ، ومنه قرأت الشيء فهو قرآن: أي جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، فمعناه: الجمع والضم، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة جنيئاً، أي لم تضم رحمها على ولد"^(١). قال أبو عبيدة^(٢) - رحمه الله -: "... وإنما سمي قرآنًا لأنه يجمع السور فيضمها، وتفسير ذلك في آية القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(٣) (القيامة: ١٧)، أي: تأليف بعضه إلى بعض..."^(٣)، ثم قال: "وفي آية أخرى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ (النحل: ٩٨)، أي: إذا تلوت بعضهم في إثر بعض، حتى يجتمع، وينضم بعضه إلى بعض، ومعناه: يصير إلى معنى التأليف والجمع. فيسمى القرآن قرآنًا، لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور: بعضها إلى بعض"^(٤).

(١) الصحاح للجوهري، مادة قرأ (١/ ٦٥).

(٢) هو: معمر بن المثنى التميمي مولاهم البصري، النحوي، النحووي العلامة. يقال إنه ولد في سنة عشر ومائة، في الليلة التي مات فيها الحسن البصري، صاحب التصانيف، ولد سنة ١١١ هـ ومات سنة ٢٠٩ هـ. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٢ م. (٣/ ٢٧٦).

(٣) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩ هـ)، تحقيق: محمد فواد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ (١/ ١).

(٤) لسان العرب، لابن منظور، باب أقرأ (١/ ١٢٨).

معنى القرآن في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تعريفه. فمنهم من أطل في التعريف وأطنب بذكر جميع خصائص القرآن، ومنهم من اختصر وأوجز، ومنهم من اقتصد وتوسط، ومن هذه التعاريف: هو اسم لكلام الله -تعالى-، المنزل على عبده ورسوله محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهو اسم لكتاب الله خاصة، ولا يسمى به شيء غيره من سائر الكتب^(١). وأقرب هذه التعريفات وأشملها أن يقال فيه: "إنه الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته". هذا التعريف جمع بين الإعجاز والتنزيل على النبي -صلى الله عليه وسلم- والكتابة في المصاحف والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة. وهي الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم. وإن كان قد امتاز بكثير سواها^(٢).

-
- (١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (٢/ ٢٩٨).
- (٢) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة (١/ ١٩).

الفصل الأول

القسم في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أركان القسم في القرآن الكريم وأدواته.

المبحث الثاني: أنواع المُقسَم به في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أغراض القسم في القرآن الكريم.

المبحث الأول

أركان القسم في القرآن الكريم وأدواته

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أركان القسم.

المطلب الثاني: أدوات القسم.

المطلب الأول: أركان القسم

إن القسم من الأمور ذات الإضافة، وهو فعل مختار له إضافة إلى ثلاثة أمور، تسمى أركان القسم: (المقسم، والمقسم به، والمقسم عليه، الذي هو -جواب القسم-).

الركن الأول: (المقسم).

والمقسم في القرآن الكريم أربعة:

أولاً: الله -تعالى- نفسه، وهو كثير، كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ

﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (الحجر: ٩٢ - ٩٣).

ثانياً: الرسل الله -صلوات الله عليهم-، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا

أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ (يونس: ٥٣).

ثالثاً: غير الرسل، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَبَصُرُ مِنَّا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ (القلم: ١٧).

رابعاً: غير البشر، كالذي جاء عن رأس الكفر إبليس في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ

لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ (ص: ٨٢) ... (١).

الركن الثاني: (المقسم به).

وأما ما يقسم به: فإن لكل قوم، أموراً مقدسة يحلفون بها، وأما القرآن الكريم فقد

أقسم المولى -سبحانه- بأمر تجاوزت عن الأربعين مقسماً به. فالمقسم به في القرآن

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس

الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م (١/ ١٨٧).

الكريم خمسة: بذاته - سبحانه وتعالى-، أو ببعض صفاته، وبرسوله -صلى الله عليه وسلم-، وبالملائكة، وبالقرآن الكريم، وبمخلوقاته المختلفة^(١).

الركن الثالث: (جواب القسم).

وجواب القسم هو، ما يحلف عليه، والذي يراد منه التأكيد عليه وتثبيته وتحقيقه، وهذا ما يقال القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده^(٢).

وقد تستوفي بعض الأقسام جميع أركان القسم، وقد يُكتفى ببعضها في بعض الأقسام، ومن الأمثلة:

ففي الآية التالية تتجلى الأركان الأربعة، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٣٨).

فقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا﴾، فهو الركن الأول.

وقوله: ﴿يَاللَّهِ﴾، هو المقسم به، والباء هو حرف القسم.

وقوله: ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾، هو المقسم عليه -جواب القسم-.

وجواب القسم، قد يُحذف لوجود دليل يدل عليه.. وأكثر ما يكون مذكورًا كما في الآية السابقة^(٣).

وأما الفعل، فكثيرًا ما يُحذف، وذلك لكثرة تردّد القسم في كلامهم، ويكتفى بالواو أو التاء في أسماء الله. ويلزم الإقسام بالباء ذكر الفعل، كما في الآية السابقة، وعلى ضوء ذلك؛ فباء القسم يلزم مع ذكر فعله، كما أنّ واو القسم وتاءه يلزم مع حذفه، فيقال:

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (ص: ٣١٨).

(٢) ينظر: الأقسام في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، مؤسسة الصادق، ط ١، ١٤٢٠ (ص: ١٠).

(٣) ينظر: الأصولان في علوم القرآن، أ. د. محمد عبد المنعم القيعي رحمه الله، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (ص: ٣٤٩).

أقسم بالله، ولا يقال: أقسم تالله، أو أقسم والله، بل يقتصر على قوله: تالله، والله، يقول سبحانه: ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾ (الأنبياء: ٥٧)، وقوله ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٢٣).

وعليه فأركان القسم؛ مُقسَم، وهو من يقوم بالقسم، ومُقسَم به، وأداة القسم، والمُقسَم عليه -جواب القسم-، وقد تأتي بعض الأقسام مكتملة الأركان، وقد يُستكفى ببعض الركان في بعض الأقسام.

المطلب الثاني: أدوات القسم

أدوات القسم خمس: (الواو والباء والتاء واللام ومن)، فأكثرها (الواو)، ثم (الباء)، وهما يدخلان على محلوف، تقول: (والله لأفعلن)، و (وبالله لأفعلن)، فالأصل الباء، ثم (التاء) وذلك قولك: تالله لأفعلن، ولا تقال مع غير الله، قال الله: ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمُ﴾ (الأنبياء: ٥٧)، ثم بعد ذلك (اللام) و (من) (١).

"وقد نبه ابن هشام (٢) في المغني على قاعدة يجب وضعها في الاعتبار عند الإعراب إذا ورد القسم بشيء عطف عليه مثله فقال: إن تلتها واو أخرى نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ (التين: ١)، فالتالية واو العطف، وإلا لاحتاج كل من الاسمين إلى جواب". أ. هـ (٣).

وقد استعملوا (اللام) في القسم إذا أرادوا التعجب كقولهم لله أبوك لقد فعلت وإنما جاؤوا بها دون الحروف الأولى ليعلم أن القسم قد انضم إليه أمر آخر وكانت اللام أولى

(١) ينظر: الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفعلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت (١ / ٤٣٠)

(٢) هو: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الانصاري، المعروف بابن هشام، نحوي، مشارك في المعاني والبيان والعروض والفقهاء وغيرها. ولد في ذي القعدة (٧٠٨هـ)، وقرأ العربية وأقام بمكة، وتوفي بمصر في ٦ ذي القعدة (٧٦١هـ). معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة دمشق (ت: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثني - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت (٦ / ١٦٣)

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥ (١ / ٤٧٣).

بذلك لما فيها من الاختصاص والمقسم به مع التعجب مختص، وقد قال بعضهم إن
(من) الجارة تستعمل في القسم مع (ربي) ومع (الله) ...، وقد أختص اسم الله بأشياء
منها هذا ومنها: (تاء) القسم، ومنها زيادة الميم في النداء، ومنها قطع همزته فيه أيضاً،
ومنها تفخيم لأمه. فإن حذفت حروف القسم وعوضته نصبت بالفعل المقدر، والجر
جائز في اسم الله تعالى خاصة لكثرة استعماله في القسم^(١).

والحروف التي يجاب بها القسم أربعة:

حرفان للنفي؛ وهما: (ما) و (لا).

وحرفان للإيجاب؛ وهما: (إن) و (اللام)، كقولك: (والله لزيد أفضل من عمرو)،

وكقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ (العصر: ١ - ٢).

وتأتي بعده (قد)، ويسوغ حذف ما هو للنفي دون الإيجاب، كقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ

تَقْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾ (يوسف: ٨٥)، أي: لا تقفأ. فإن أدخلت هذه اللام على الفعل

المضارع ألحقت بالفعل النون الثقيلة أو الخفيفة، كقوله تعالى: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ

أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ (الحجر: ٩٢)...^(٢).

(١) ينظر: الباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء (١/ ٣٧٥).

(٢) ينظر: اللحة في شرح الملحة، محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله،
شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (ت: ٧٢٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر:
عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة:
الأولى، ٢٠٠٤م (١/ ٢٦٩، ٢٧٠).

والفرق بين واو القسم والواو التي تضمّر بعدها (رب): أن واو القسم يجوز أن يدخل عليها واو العطف وفاؤه، كقولك: (وو الله) ، وكما قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٩٢). والواو القائمة مقام (رب) فلا يدخل عليها واو العطف، ولا فآؤه؛ فلا يجوز أن تقول: و [وصاحب في قول الشاعر]:

وصاحب نبهته لينهضا إذا الكرى في عينه تمضمضا^(١).

ومن خلال ما سبق فإن أكثر الحروف ورودًا في القسم، هي الثلاثة الأولى: (الواو، والباء، والتاء)، وأن (الباء) هي أصل حروف القسم، وأن التاء والباء والواو تختص بلفظ الجلالة .

(١) المصدر السابق (١/ ٢٧٠).

المبحث الثاني

أنواع المُقسَم به في القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: القسم بنفسه - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: القسم بالملائكة - عليهم السلام - في القرآن الكريم.
- المطلب الثالث: القسم بالرسول - عليهم السلام - في القرآن الكريم.
- المطلب الرابع: القسم بالقرآن العظيم في القرآن الكريم.

المطلب الأول

القسم بنفسه سبحانه وتعالى في القرآن الكريم

لقد أقسم الله -تبارك وتعالى- بذاته، وأمر نبيه أن يُقسم به، وأقسم بنبيه -صلى الله عليه وسلم-، وبعض مخلوقاته^(١).

والآيات التي أقسم الله فيها بنفسه وبالقرآن وبرسوله -صلى الله عليه وسلم-، وبمخلوقاته في القرآن الكريم، تجاوزت ستون (٦٠) آية.

وبعد تتبُّع الباحث لآيات القسم في القرآن الكريم؛ فإن الله قد أقسم بذاته في ثمانية مواضع، وأمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يُقسم به في ثلاثة مواضع، وفي هذا المطلب نوردها حسب الآتي:

أولاً: المواضع التي أقسم الله -عز وجل- بذاته فيها:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ (النساء: ٦٥).

"أقسم سبحانه أولاً بنفسه مؤكداً لهذا القسم بحرف النفي بأنهم لا يؤمنون"^(٢).

وأصل الكلام: (فوربك لا يؤمنون)؛ أقسم مع إضافة الرب إلى كاف الخطاب تعظيماً للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو التفات راجع إلى قوله: (جاؤك)، (ولا) في قوله: (فلا)^(٣).

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (ص: ٣١٨).

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (ت: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية -حمص-، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ (٢/ ٢٥٠).

(٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ (٣/ ٦٩٤).

"وقيل: قدم لا على القسم اهتمامًا بالنفي، ثم كررها بعد توكيدًا للتهم بالنفي، وكان يصح إسقاط لا الثانية، ويبقى أكثر الاهتمام بتقديم الأولى، وكان يصح إسقاط الأولى ويبقى معنى النفي، ويذهب معنى الاهتمام. وقيل: الثانية زائدة، والقسم معترض بين حرف النفي والنفي"^(١). وقال الزمخشري: "لا مزيدة لتأكيد معنى القسم، كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم"^(٢).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿فَوَرَيْكَ لَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٩٢).

"الفاء للتفريع، والواو للقسم، فالمفزع هو القسم وجوابه. والمقصود بالقسم تأكيد الخبر، وليس الرسول - عليه الصلاة والسلام - ممن يشك في صدق هذا الوعيد، ولكن التأكيد متسلط على ما في الخبر من تهديد معاد ضمير النصب في لسنئلهم"^(٣). ووصف الرب مضافاً إلى ضمير النبي - صلى الله عليه وسلم - إيماء إلى أن في السؤال المقسم عليه حظاً من التنويه به، وهو سؤال الله المكذبين عن تكذيبهم إياه سؤال رب يغضب لرسوله - عليه الصلاة والسلام - "أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحداً واحداً من هؤلاء المقتسمين عما قالوه في رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أو في القرآن، أو في كتب الله"^(٤).

(١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٣/ ٦٩٥).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ (١/ ٥٢٨).

(٣) التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م (١٤/ ٨٧).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م (٢/ ٢٠٠).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَسَعْنُ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ (النحل: ٥٦).

"التاء تاء القسم الجارة، ولفظ الجلالة مجرور بتاء القسم والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره قسمي، واللام واقعة في جواب القسم" (١).

وقال الطبري: "يقول تعالى ذكره: والله أيها المشركون الجاعلون الآلهة والأنداد نصيبًا فيما رزقناكم شركًا بالله وكفرًا، ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم في الدنيا تفترون، يعني: تختلقون من الباطل والإفك على الله بدعواكم له شريكًا، وتصييركم لأوثانكم فيما رزقكم نصيبًا، ثم ليعاقبنكم عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمه وافترائكم عليه" (٢).

وهذا في هؤلاء الأقوام خاصة بمنزلة قوله: ﴿فَوَرَيْكَ لَسَعْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٩٢)، فأقسم الله سبحانه وتعالى -جل ذكره- على نفسه أنه يسألهم، وهذا تهديد شديد؛ لأن المراد من هذا أنه يسألهم سؤال توبيخ، وتهديد" (٣).

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل: ٦٣).

والمعنى: "تالله العلي القدير (إنه لقسم من الله بنفسه)، لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلهم، فوقفوا منهم مثل ما وقفوا معك" (١).

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ (٩/ ١١٤).

(٢) جامع البيان، للطبري ت شاكر (١٧/ ٢٢٧).

(٣) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: ١، ١٤١٩ هـ (١٢/ ٨٦).

والتاء في قوله تعالى: ﴿تالله﴾ تاء القسم، والجر والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المقدر، واللام واقعة في جواب القسم^(٢).

ووجه الخطاب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- لقصد إبلاغه إلى أسماع الناس، فإن القرآن منزل لهدي الناس، فتأكيد الخبر بالقسم منظور فيه إلى المقصودين بالخبر، لا إلى الموجه إليه الخبر، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يشك في ذلك^(٣).

الموضع الخامس: في قوله تعالى: ﴿فَوَرِّكَ لَنَحْشُرَنَّهْمُ وَالشَّيْطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهْمُ حَوْلَ جَهَنَّمَ حِثًّا﴾ (مريم: ٦٨).

وهنا أيضًا؛ أقسم الرب، -تبارك وتعالى-، بنفسه الكريمة، أنه لا بد أن يحشرهم جميعًا وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله^(٤).

واستخدم ما كان العرب يستخدمونه من الحلف بحياة المخاطب، فأقسم بحياة رسوله. وفي ذلك تشريف لحياة الرسول، وتعظيم لأمره في أعين السامعين^(٥).

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَتَّكُم نَنْطِقُونَ﴾ (الذاريات: ٢٣).

(١) التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد -بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٣هـ (٢/ ٣١٩).

(٢) إعراب القرآن وبيانه، درويش (٥/ ٣٢٥).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٤/ ١٩٤).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٢٥١).

(٥) ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ)، الناشر: نهضة مصر، القاهرة، عام النشر: ٢٠٠٥م (ص: ١٣٢).

وفي هذه الآية، يقول -تعالى ذكره- مقسماً لخلقه بنفسه: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ،

إن الذي قلت لكم أيها الناس: إن في السماء رزقكم وما توعدون لحق، كما حق أنكم

تتطقون. وعن الحسن، في قوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ﴾ (٢٣) ،

قال: بلغني أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم

بنفسه فلم يصدقوه" (١)... (٢).

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ (المعارج: ٤٠).

"وجملة (لا أقسم برب المشارق) إلخ، معترضة بين الفاء وما عطفته. والقسم بالله

بعنوان ربوبيته المشارق والمغرب معناه: ربوبيته العالم كله لأن العالم منحصر في

جهات شروق الشمس وغروبها. وجمع المشارق والمغرب باعتبار تعدد مطالع الشمس

ومغربها في فصول السنة فإن ذلك مظهر عجيب من مظاهر القدرة الإلهية والحكمة

الربانية لدلالاته على عظيم صنع الله من حيث إنه دال على الحركات الحافة بالشمس

التي هي من عظيم المخلوقات؛ ولذلك لم يذكر في القرآن قسم بجهة غير المشرق

والمغرب دون الشمال والجنوب مع أن الشمال والجنوب جهتان مشهورتان عند العرب،

(١) أخرجه ابن جرير عن الحسن مرسلًا، جامع البيان، للطبري ت شاكر (٢٢/ ٤٢٢).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ت شاكر (٢٢/ ٤٢٢).

أقسم الله به على سنة أقسام القرآن. وفي إثبات المشارق والمغارب بالقسم بربها رعي لمناسبة طلوع الشمس بعد غروبها لتمثيل الإحياء بعد الموت^(١).

الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا

﴿٧﴾﴾ (الشمس: ٥ - ٧).

"والسماء وما بناها أي ومن رفعها، وصيرها بما فيها من الكواكب، كالسقف أو القبة المحكمة الزينة المحيطة بنا. ف (ما) موصولة بمعنى (من) أوترت لإرادة الوصفية. أي والقادر الذي أبدع خلقها"^(٢).

وقال ابن كثير: "أن "ما" في الآيات بمعنى "من" أي: والسماء وبانيها، والأرض وطاحيها، ونفس ومسويها، وهو قول مجاهد^(٣). ويحتمل أن تكون "ما" مصدرية بمعنى: والسماء وبنائها، والأرض وطحائها، ونفس وتسويتها، وهو قول قتادة، وغيره"^(٤).

ثانياً: المواضع التي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم - أن يقسم به.

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ

بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ (يونس: ٥٣).

(١) التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي

(ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ (٢٩ / ١٧٩).

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)،

تحقيق: محمد باسل، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٨ هـ (٩ / ٤٨١).

(٣) هو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، روى عن: ابن

عباس، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، ومات سنة ١٠٣هـ. سير أعلام النبلاء ط الرسالة

للذهبي، (٤ / ٤٤٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨ / ٤١١).

وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلا آيتان، يأمر الله -تعالى- رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد. الآية الأولى في سورة سبأ، قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ (سبأ: ٣). والآية الثانية، في سورة التغابن: قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن: ٧) (١).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (سبأ: ٣).

"وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة إنكار لمجيئها أو استبطاء استهزاء بالوعد به. قل بلى رد لكلامهم وإثبات لما نفوه. وربى لتأتينكم عالم الغيب تكرير لإيجابه مؤكداً بالقسم مقررًا لوصف المقسم به بصفات تقرر إمكانه وتنفي استبعاده" (٢).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن: ٧).

"زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم، ولذلك يتعدى إلى مفعولين وقد قام مقامهما أن بما في حيزه. قل بلى أي بلى تبعثون. وربى لتبعثن قسم أكد به الجواب.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤ / ٢٧٤).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ (٤ / ٢٤١).

ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة. وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول
القدرة التامة"^(١).

(١) المصدر السابق (٥ / ٢١٨).

المطلب الثاني

القسم بالملائكة في القرآن الكريم

أقسم المولى - سبحانه وتعالى - بالملائكة في أربع سور من القرآن الكريم، وهي: الصافات، والذاريات، والمرسلات، والنازعات. وليس المُقسم به في الآيات هو لفظ الملك أو الملائكة، وإنما هي الصفات البارزة للملائكة وأفعالها، وهذه الآيات هي كما يلي:

الموضع الأول: قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١﴾ فَالزَّجْرَتِ زَجْرًا ۝٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ (الصافات: ١ - ٤).

لقد أقسم الله - عز وجل - في هذه السورة، بثلاث صفات من صفات الملائكة، ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ و ﴿فَالزَّجْرَتِ﴾ و ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾، وكل هذه الصفات مُقسم به، والمُقسم عليه هو قوله: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ ٤، وأما تفسير المُقسم به فيها، فإن أكثر أهل العلم على أن المراد بـ: الصافات هنا، والزاجرات، والتاليات: جماعات الملائكة، وقد جاء وصف الملائكة بأنهم صافون، وذلك في قوله تعالى عنهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۝١٦٥﴾ (الصافات: ١٦٥) (١).

"أقسم - سبحانه - بالملائكة الصافات صفوفاً للعبادة، أو الصافات أجنحتها في السماء، انتظاراً لأمر الله - تعالى -، والذين هم يقومون بوظائف متعددة، منها: أنهم

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م (٦ / ٣٠١).

يسوقون السحب إلى مكان معين بالتدبير المأمور به فيها، أو أنهم يزجرون الناس ويردعونهم عن المعاصي بإلهام الخير، ويزجرون الشياطين عن الوسوسة والإغواء" (١).

الموضع الثاني: قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَّوًا ۝١﴾ فَأَلْحَمَلَتْ وَقَرًّا

﴿٢﴾ فَأَلْحَمَلَتْ يُسْرًا ۝٣﴾ فَأَلْمَقَسَمَتِ أَمْرًا ۝٤﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ (الذاريات: ١ - ٥).

"أكثر أهل العلم، على أن المراد بالذاريات الرياح، وهو الحق إن شاء الله، ويدل عليه أن الذرو صفة مشهورة من صفات الرياح. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿فَأَلْحَمَلَتْ وَقَرًّا﴾ ، قرأ أكثر أهل العلم على أن المراد بالحاملات وقرًّا: السحاب، أي المزن تحمل وقرًّا ثقلاً من الماء. ويدل لهذا القول تصريح الله - جل وعلا - بوصف السحاب بالثقال، وهو جمع ثقيلة، وذلك لثقل السحابة بوقر الماء الذي تحمله كقوله تعالى: ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝١٣﴾ (الرعد: ١٢)، وهو جمع سحابة ثقيلة" (٢).

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَأَلْحَمَلَتْ يُسْرًا ۝٣﴾؛ فإن أكثر أهل العلم على أن المراد بالجاريات يسرًا: السفن تجري في البحر يسرًا، أي: جريًا ذا يسر، أي سهولة (٣).

وأما قوله تعالى: ﴿فَأَلْمَقَسَمَتِ أَمْرًا ۝٤﴾: "هي الملائكة الذين يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به" (٤).

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ (٢٣ / ٦٣).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (٧ / ٤٣٤).

(٣) المصدر السابق (٧ / ٤٣٥).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ (٣ / ١٤).

وقال الشنقيطي^(١): "هي الملائكة يرسلها الله في شئون وأمور مختلفة، ولذا عبر عنها بالمقسمات، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿فَالْمُدْرِبَاتِ أَمْرًا ٥﴾ (النازعات: ٥)، فمنهم من يرسل لتسخير المطر والرياح، ومنهم من يرسل لكتابة الأعمال، ومنهم من يرسل لقبض الأرواح، ومنهم من يرسل لإهلاك الأمم، كما وقع لقوم صالح. والمقسم عليه بهذه الأقسام هو قوله: إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع، والموجب لهذا التوكيد هو شدة إنكار الكفار للبعث والجزاء"^(٢).

الموضع الثالث: قوله تعالى في سورة المرسلات: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ١﴾ ﴿فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ٢﴾ ﴿وَالنَّشْرَاتِ نَشْرًا ٣﴾ ﴿فَالْفَرْقَاتِ فَرَقًا ٤﴾ ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ٥﴾ ﴿عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ٦﴾ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ٧﴾ (المرسلات: ١ - ٧).

"أقسم المولى - سبحانه - بأوصاف الملائكة، في هذه الآيات بأمر يعبر عنها ب: (المرسلات، فالعاصفات، والناشرات، والفارقات، فالملقيات ذكراً عذراً أونذراً). "إقسام بطوائف من الملائكة أرسلهن الله - تعالى - بأوامره متتابعة. فعصفن عصف الرياح في امتثال أمره، ونشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم، ففرقن بين الحق والباطل، فألقين إلى الأنبياء ذكراً عذراً للمحقين ونذراً للمبطلين، أو بآيات القرآن المرسلة بكل عرف إلى محمد - عليه الصلاة والسلام -، فعصفن سائر الكتب والأديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب، وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين العالمين، أو بالنفوس الكاملة المرسلة إلى الأبدان

(١) هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا) . ولد وتعلم بها. وحج (١٣٦٧)، واستقر مدرساً في المدينة المنورة ثم الرياض، وتوفي سنة: (١٣٩٣هـ). الأعلام للزركلي (٦/ ٤٥).
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٧/ ٤٣٥).

لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن أثر ذلك في جميع الأعضاء، ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا إلا وجهه، فألقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والألسنة إلا ذكر الله -تعالى-، أو بريح عذاب أرسلن فعصفن، وريح رحمة نشرن السحاب في الجو، ففرقن فألقين ذكرا أي تسبين له، فإن العاقل إذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله -تعالى- وتذكر كمال قدرته، وعرفا إما نقيض النكر وانتصابه على العلة أي أرسلن للإحسان والمعروف، أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال" (١).

وهذه كلها أقسام وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾، أي من أمر الساعة ومجيئها لواقع، أي لكائن نازل لا محالة، وقيل: معناه إن ما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم (٢).

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾ (النازعات: ١ - ٥).

"أقسام بطوائف الملائكة وأصنافهم، فهم النازعات التي تنزع الأرواح من الأجساد، والناشطات التي تنشطها، أي تخرجها بسرعة وخفة، من قولهم: نشط الدلو من البئر إذا أخرجها، وأنا أنشط بكذا، أي أخف له وأسرع، والسابحات التي تسبح في الهواء في

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٥ / ٢٧٤).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ (٤ / ٣٨٣).

طريق ممرها إلى ما أمرت به، كما تسبح الطير في الهواء، فالسابقات التي تسبق وتسرع إلى ما أمرت به لا تبطئ عنه ولا تتأخر، فالمدبرات أمور العباد التي أمرها ربها بتدبيرها وهذا أولى الأقوال" (١).

"وجواب القسم محذوف يدل عليه السياق وهو البعث المستلزم لصدق الرسول وثبوت القرآن، أو أنه من القسم الذي أريد به التبيه على الدلالة، والعبرة بالمقسم به دون أن يراد به مقسمًا عليه بعينه، وهذا القسم يتضمن الجواب المقسم عليه، وإن لم يذكر لفظًا، ولعل هذا مراد من قال أنه محذوف للعلم به، لكن هذا الوجه ألطف مسلكًا فإن المقسم به إذا كان دالًا على المقسم عليه مستلزمًا استغنى عن ذكره بذكره، وهذا غير كونه محذوفًا لدلالة ما بعده عليه فتأمله، ولعل هذا قول من قال: أنه إنما أقسم برب هذه الأشياء، وحذف المضاف فإن معناه صحيح، لكن على غير الوجه الذي قدره فإن إقسامه سبحانه بهذه الأشياء لظهور دلالتها على ربوبيته ووحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته فالأقسام بها في الحقيقة إقسام بربوبيته وصفات كماله" (٢).

"والمتبادر أن مدلولات هذه الأقسام كانت مفهومة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، -، وأنها كانت ذات خطورة في الأذهان على أن الجملة الآتية الأخيرة أو الخامسة

(١) التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان (ص: ١٣٥).

(٢) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ١٣٩).

قد تساعد على القول أنها أوصاف الملائكة؛ لأنهم الذين يمكن أن يكون منهم تدبير الأمر بأمر من الله -تعالى- والله أعلم، أما جواب القسم فهو على قول جمهور المفسرين محذوف مقدر بمعنى توكيد بعث الناس مرة أخرى، والآيات التالية قرائن قوية على ذلك أغنت عن ذكر الجواب^(١).

وعليه فإن الله المراد بهذه الموصوفات: (نازعات، ناشطات، سابحات، سابقات، مدبرات)؛ طوائف من الملائكة، أقسم الله بصفات وأفعالها التي كلفها بها، وجواب القسم محذوف، على قول الجمهور.

(١) التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة سنة: ١٣٨٣ هـ (٥ / ٤١١).

المطلب الثالث

القسم بالرسول في القرآن الكريم

لقد أقسم الله -عز وجل- بعمر نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في القرآن الكريم صراحة، وأقسم بفعله أيضاً. فأما الموضع الذي أقسم بعمره فهو قوله تعالى:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢) ... (١).

قال السيوطي (٢) في الإتيان: "وقال العلماء: أقسم -الله- تعالى بالنبى -صلى الله عليه وسلم- في قوله: {لعمرك} لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه، وعن ابن عباس قال: "ما خلق الله ولا ذراً ولا براً نفساً أكرم عليه من محمد -صلى الله عليه وسلم-، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ .." (٣).

وعن ابن عباس أيضاً في تفسير هذه الآية قال: "ما حلف الله -تعالى- بحياة أحد إلا بحياة محمد -صلى الله عليه وسلم- قال: وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك في

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (ص: ٣١٩).

(٢) هو: الحافظ أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المصري، كان نادرة من نوادر الإسلام في القرون الأخيرة؛ حفظاً، وإطلاً، ومشاركة، وكثرة تأليف، كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، (ت: ٩١١هـ). ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيات والمسلسلات، محمد عبد الحى بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ٢، ١٩٨٢م (١٠١١/٢).

(٣) الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م (٥٥/٤).

الدنيا: ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢) ﴿١﴾...، فقال -جل شأنه- في سورة الحجر:
﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢) ، وهنا يُقسم الله بالنبي نفسه (٢).

وأما الموضع الذي أقسم الله -عز وجل- بفعل نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-،
ففي سورة الزخرف في قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَا قَوْمِ إِنَّ هَذِهِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨)
(الزخرف: ٨٨). الواو للقسم وقيله أي قوله مجرور بواو القسم والجار والمجرور متعلقان
بفعل محذوف تقديره أقسم والجواب إما محذوف أي لأفعلن بهم ما أريد وإما مذكور وهو
قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون كأنه قيل وأقسم بقيله (٣).

وقال الزمخشري: "والضمير في (وقيله) لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وإقسام
الله بقيله، رفع منه وتعظيم لدعائه، والتجائه إليه" (٤).

(١) أخرجه الطبري عن ابن عباس في جامع البيان (١٧ / ١١٨). وأخرج نحوه البيهقي في الدلائل،
عن ابن عباس، دلائل النبوة ومعرفة أحوال أصحاب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن
موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -
بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ (٥ / ٤٨٨).

(٢) دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (ص: ٣١٩).

(٣) إعراب القرآن وبيانه، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ).

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٤ / ٢٦٨).

المطلب الرابع

القسم بالقرآن الكريم

القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الذي أنزله - سبحانه - على رسوله ليكون للعالمين نذيراً، وبما أنّ القرآن كتاب هداية للناس، فقد نال من الكرامة بمكان أقسم به - سبحانه - فتارة بلفظ «القرآن» وأخرى بلفظ «الكتاب».

أقسم المولى بلفظ القرآن الكريم في خمسة مواضع، بلفظ القرآن في ثلاثة منها، ولفظ الكتاب في موضعين:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يَسَّ ۙ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۙ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۙ﴾

﴿يس: ١ - ٣﴾.

"(الواو) حرف جر وقسم، (القرآن) مقسم به، وحرف الجر والمقسم به متعلقان بفعل

محذوف تقديره أقسم" (١). "وجملة ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ جواب القسم" (٢).

(١) إعراب القرآن للدعاس، أحمد عبيد الدعاس - أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم،

الناشر: دار المنير ودار الفارابي - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ (٣ / ٨٨).

(٢) المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، الناشر: مجمع الملك

فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام النشر: ١٤٢٦ هـ (٣ / ١٠١١).

قال الطبري: "والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه، وبينات حججه، ﴿إِنَّكَ لَمِنَ

الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣)، يقول -تعالى- ذكره مقسمًا بوحيه وتنزيله لنبيه محمد -صلى الله عليه

وسلم-: إنك يا محمد لمن المرسلين بوحى الله إلى عباده" (١).

"والقسم بالقرآن كناية عن شرف قدره وتعظيمه عند الله -تعالى-، وذلك هو

المقصود من الآيات الأولى من هذه السورة. والمقصود من هذا القسم تأكيد الخبر مع

ذلك التنويه. والقرآن علم بالغلبة على الكتاب الموحى به إلى محمد -صلى الله عليه

وسلم- من وقت مبعثه إلى وفاته للإعجاز والتشريع" (٢).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (١) ﴿ص: ١﴾.

"الواو في قوله -سبحانه- ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (١) ﴿ص: ١﴾، وإن اعتبر مُقْسَمًا به

فهي للعطف عليه، لكن إذا كان قسمًا منصوبًا على الحذف والإيصال، يكون العطف

عليه باعتبار المعنى والأصل" (٣).

وأما جواب القسم فقد اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو قوله: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ

الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ (١٤) ﴿ص: ١٤﴾. وقيل قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (٦٤) ﴿ص: ٦٤﴾.

(١) جامع البيان، للطبري ت شاكر (٢٠ / ٤٩٠).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢ / ٣٤٥).

(٣) روح المعاني، للأوسي (١٢ / ١٥٥).

(٦٤)، حكاها ابن جرير، وهذا الثاني فيه بعد كبير، وضعفه ابن جرير. وقال قتادة:

جوابه: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ (ص: ٢)، واختاره ابن جرير. وقيل: جوابه ما

تضمنه سياق السورة بكمالها، والله أعلم^(١).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ (ق: ١).

"(الواو) حرف قسم وجر، و (القرآن) مقسم به، والمجيد صفة، والجواب محذوف

يدل عليه ما بعده وتقديره: أنك جنتهم منذراً بالبعث فلم يقبلوا بل عجبوا"^(٢).

واختلفوا في جواب القسم، فقيل: الجواب: ﴿بَلِّ عَجِبُوا﴾ (ق: ٢)، لأن " بل " تؤكد

وتوجب وقوع ما بعدها. مثل " أن " و " اللام "، وقولك " لقد عجبوا " و " بل عجبوا "

واحد. وقيل: الجواب: قد علمنا ما تنقص الأرض، أي: قد علمنا ذلك. وقيل: الجواب

محذوف، والتقدير: والقرآن المجيد لتبعثن. وقيل التقدير: والقرآن المجيد لتعلمن عاقبة

تكذيبكم بالبعث، ودل على ذلك ما حكى الله عنهم من قولهم: ﴿أءَاذًا مِّنَّا وَكُنَّا نُرَابًا ذَلِكُمْ رَجَعُ

بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ (ق: ٣). وقيل الجواب: (ق)، وعلى تقدير هو " ق " والقرآن المجيد^(٣).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧ / ٥١).

(٢) إعراب القرآن وبيانه (٩ / ٢٨١)، وينظر: البحر المحيط في التفسير (٩ / ٥٢٨).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١١ / ٧٠٢٥) للمؤلف: مكي بن ابي طالب (ت: ٤٣٧)

الموضع الرابع: قوله -تعالى- في سورة الزخرف: ﴿حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۝﴾

﴿الزخرف: ١ - ٢﴾.

من جعل ﴿حَمَّ﴾ قَسَمًا كانت الواو في قوله: ﴿وَالْكِتَابِ﴾ للعطف، ومن قال غير ذلك جعلها للقسم^(١). فأقسم الله -تعالى- بالقرآن، وإنما يقسم بعظيم، ثم جعل المقسم عليه تعظيم القرآن بأنه قرآن عربي مرجو به أن يعقل به العالمون، أي: يتعللوا آيات الله تعالى، فكان جواب القسم مصححا للقسم^(٢).

وفي المراد بالكتاب قولان: أحدهما: أنه القرآن فيكون قد أقسم بالقرآن أنه جعله عربياً. والثاني: المراد بالكتاب الكتابة والخط، أقسم بالكتاب لكثرة ما فيه من المنافع، ووصف الكتاب بأنه مبين أي أبان طريق الهدى من طريق الضلال، وأبان ما يحتاج إليه الأمة من الشريعة وتسميته مبينا مجاز؛ لأن المبين هو الله تعالى وإنما سمي القرآن بذلك توسعا من حيث إنه حصل البيان عنده^(٣).

-
- (١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت : ٦١٦هـ)، المحقق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه (٢ / ١١٣٧).
- (٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت : ٦١٦هـ)، المحقق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه (٢ / ١١٣٧).
- (٣) اللباب في علوم الكتاب، بن عادل الحنبلي (١٧ / ٢٢٧).

وقال ابن عاشور: "أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن على أن القرآن جعله الله عربياً واضح الدلالة، فهو حقيق بأن يُصدّقوا به لو كانوا غير مكابرين، ولكنهم بمكابرتهم كانوا كمن لا يعقلون. فالقسم بالقرآن تنويه بشأنه، وهو توكيد لما تضمنه جواب القسم؛ إذ ليس القسم هنا برافع لتكذيب المنكرين؛ إذ لا يصدقون بأن المقسم هو الله -تعالى- فإن المخاطب بالقسم هم المنكرون"^(١).

الموضع الخامس: قوله تعالى في سورة الدخان: ﴿حَمَّ ۝١﴾ وَأَلَكْتَبِ الْمُبِينِ

﴿٢﴾ (الدخان: ١ - ٢).

"ذُكِرَ القسم بالكتاب في سورة الزخرف، وهو قسم جوابه إنا أنزلناه، وقيل: إنا كنا منذرين وهو بعيد إنا أنزلناه في ليلة مباركة يعني ليلة القدر من رمضان، وكيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل به جبريل على النبي -صلى الله عليه وسلم- شيئاً بعد شيء"^(٢).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٥ / ١٥٩).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ (٢ / ٢٦٦).

ومن خلال عرضنا للقسم بالقرآن الكريم، فقد تنوع القسم، فتارة يأتي القسم باسم

(القرآن)، كما في سورة (يس)، وسورة (ص)، وسورة (ق). وتارة يأتي باسم (الكتاب)

كما في سورة (الزخرف)، وسورة (الدخان).

المبحث الثالث

أغراض القسم في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحقيق الخبر وتوكيده.

المطلب الثاني: الاهتمام بالمقسم عليه.

المطلب الثالث: بيان شرف المُقسم به.

المطلب الأول

تحقيق الخبر وتوكيده

القسم يؤكد الكلام، والقرآن الكريم نزل باللسان العربي، "وإذا كان من عادة العرب أنهم يؤكدون الكلام بالقسم، صار هذا الأسلوب جارياً على اللسان العربي الذي نزل به القرآن" (١). "وأول غرض من أغراض القسم؛ هو التأكيد على الأشياء المُقسَم عليها، أي تحقيق الخبر وتوكيده؛ ليكون أوقع في التلقي وأرجى للقبول، كقوله تعالى:

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (يونس: ٥٣).

وقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٩٢)... " (٢).

فالقسم يؤكد المعنى المُقسَم عليه في نفوس المخاطبين. وقد أقسم -سبحانه- على

صدق البعث. قال تعالى: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَرْقَتِ

فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقَتِ ذِكْرًا ۝٥ عُدْرًا أَوْ نَذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعُ ۝٧ ﴾ (المرسلات: ١ - ٧). فأقسم،

-سبحانه- بهذا على وقوع ما يوعدون به من العذاب، وفي بيان المعاني، وكشف

(١) تفسير العثيمين (جزء عم)، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، إعداد

وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية،

١٤٢٣ هـ (ص: ١١٦).

(٢) الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم

الطيب / دار العلوم الانسانية - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م (ص: ٢٠٨).

غرض القسم فيها، ففي قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١﴾، العرف ضد النكر، وهو قسم
 بآيات الله الهادية إلى العرف الذي لا نكرة فيه، ﴿فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ۝٢﴾، الآيات المنذرة
 للمنكرين، ﴿وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا ۝٣﴾، الآيات الناشرة للنور والهداية، ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا ۝٤﴾
 القرآن الذي أنزله الله ليفرق بين الحق والباطل، ﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ عُدْرًا أَوْ نُدْرًا ۝٦﴾
 آيات الوعد والوعيد والعذر الفوز والنجاح، ومن المفسرين من فسر القسم بالرياح المرسلة
 ومنهم من فسره بالملائكة والله أعلم^(١).

وأقسم -سبحانه- بمظاهر القيامة ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ (النجم: ١)، ﴿وَالْبَحْرِ
 الْمَسْجُورِ ۝٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ (الطور: ٦ - ٧)، وقد أقسم الله -سبحانه- على حتمية
 مجيء القيامة ليؤكد أمرها، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي
 لَتَأْتِيََنَّكُمْ﴾ (سبأ: ٣). كل هذا ليؤكد عقيدة الجزاء ويوصلها إلى النفس بشتى الطرق
 وهذا بعض أغراض القسم في القرآن الكريم^(٢).

وأقسم -سبحانه- بالضحي وبالليل: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ
 ﴿٣﴾ (الضحى: ١ - ٣)؛ ليؤكد بقاء الوحي. فقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، هو

(١) ينظر: سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، محمود محمد غريب، الناشر: دار التراث العربي -
 القاهرة، الطبعة: الثالثة - ١٤١٨ هـ - ١٩٨٨ م (ص: ١٥٧).
 (٢) ينظر: المصدر السابق (ص: ١٥٧).

المُقَسَّم عليه، وهو أن الله -سبحانه- لم يودع النبي، وداعًا لا لقاء بعده، بل إن الله معه، في كل لحظة من لحظات حياته، ومع كل نفس من أنفاس صدره. وأن انقطاع الوحي في تلك الفترة لم يكن عن قلى وهجر من الله سبحانه وتعالى له، فهو الحبيب إلى ربه، المجتبي إليه من خلقه.. وفي توكيد الخبر بالقسم، مزيد من فضل الله ورحمته، للنبي الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم-، ورفع لمنزلة النبي عند ربه، حتى لينزل منزلة الحبيب من حبيبه^(١).

وفي قوله -تعالى-: ﴿فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ (البقرة: ١٤٤): "هذا يدل على أن في الجملة السابقة حالاً محذوفة، التقدير: "قد نرى تقلب وجهك في السماء طالباً قبلة غير التي أنت مستقبلها". وجاء هذا الوعد على إضمار قسم مبالغة في وقوعه، لأن القسم يؤكد مضمون الجملة المقسم عليها"^(٢).

والخلاصة؛ فالقسم في القرآن الكريم يؤكد الخبر، ويؤكد مضمون الجملة المقسم عليها.

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة (١٦ / ١٦٠٠).

(٢) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٢ / ٢٣).

المطلب الثاني

الاهتمام بالمقسم عليه

للقسم فوائد: إحداها: بيان عظمة المقسم به. والثانية: بيان أهمية المقسم عليه،

وإرادة توكيده، ولذا لا يحسن القسم إلا في الأحوال التالية:

الأولى: أن يكون المقسم عليه ذا أهمية.

الثانية: أن يكون المخاطب مترددًا في شأنه.

الثالثة: أن يكون المخاطب منكرًا له^(١).

والله - سبحانه وتعالى - ذكر القسم في كتابه، لكمال الحجة، وتأكيدا، وقال ابن

القيم: "المقسم عليه، يراد بالقسم توكيده، وتحقيقه، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه وذلك

كالأمور الغائبة، والخفية، إذا أقسم على ثبوتها، فأما الأمور الظاهرة كالشمس والقمر

والليل والنهار، والسماء والأرض فهذه يقسم بها، ولا يقسم عليها"^(٢).

(١) أصول في التفسير، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م (ص: ٤٩).

(٢) ينظر: حاشية مقدمة التفسير، (المقدمة والحاشية كلاهما للشيخ ابن قاسم رحمه الله)، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (ت: ١٣٩٢هـ)، الناشر: بدون ناشر، الطبعة: الثانية، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م (ص: ٩٩).

"والمُقَسَم عليه هو الذي يُرَاد توكيده، أو تعظيمه، أو التثبيته على ما فيه من عظامٍ وعبر، ونفع وضرر. وقد أقسَمَ الله -جل شأنه- في كتابه العزيز على أمور كثيرة ترجع في جملتها إلى أمرين: الأول: أصول الإيمان. والثاني: حال الإنسان" (١).

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتاب "التبيان في أقسام القرآن": "فهو - سبحانه- يقسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها، تارةً يقسم على التوحيد، وتارةً يقسم على أن القرآن حقٌّ، وتارةً على أن الرسول حقٌّ، وتارةً على الجزاء والوعد والوعيد، وتارةً على حال الإنسان" (٢).

فالأول كقوله تعالى ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ (الصافات: ١ - ٤).

والثاني كقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْعِدِ الْجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ (الواقعة: ٧٥ - ٧٧).

(١) دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (ص: ٣٢٠).

(٢) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ٤).

والثالث كقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿يَسَّ ۙ (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۙ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ

﴿٣﴾ (يس: ١ - ٣) (١).

وأما القسم على الجزاء والوعد والوعيد، ففي مثل قوله: ﴿وَالذَّرِيرَتِ ذُرْوًا ۙ (١) فَالْحَمَلَتِ

وَقَرًا ۙ (٢) فَالْجَرِيرَتِ يُسْرًا ۙ (٣) فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا ۙ (٤) إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ ۙ (٥) وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعُوا ۙ (٦)﴾ (الذاريات:

١ - ٦). ثم ذكر تفصيل الجزاء، وذكر الجنة والنار، وذكر أن في السماء رزقهم وما

يوعدون، ثم قال: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطُقُونَ ۙ (٢٣)﴾ (الذاريات: ٢٣) (٢).

وأما القسم على أحوال الإنسان، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۙ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ

ۙ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۙ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۙ (٤)﴾ (الليل: ١ - ٤). وأقسم على صفة

الإنسان بقوله: ﴿وَالْعَدِيدِ صُبْحًا ۙ (١) فَالْمُورِبَةِ قَدْحًا ۙ (٢) فَالْمُغِيرَةِ صُبْحًا ۙ (٣) فَاتْرَنَ بِهِ

نَقْعًا ۙ (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۙ (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۙ (٦)﴾ (العاديات: ١ - ٦). وأقسم

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (ص: ٣٢٢)، وينظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ٤).

(٢) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ٤).

على عاقبته، وهو قسمٌ على الجزاء في قوله: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿العصر: ١ - ٣﴾^(١).

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (ص: ٣٢٢)، التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ٤).

المطلب الثالث

بيان شرف المُقسَم به

وهذا هو الغرض الثالث من أغراض القسم؛ شرف المُقسَم به، والتتويه بحال المُقسَم به، لأنه -سبحانه- لا يُقسَم إلا بعظيم، ولا شك أن بيان شرف المُقسَم به، وعلو قدره، هو ليعرف الناس مكانته عند الله ورفعة منزلته لديه، كالقسم بحياة النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢). وكقوله تعالى مبيناً شرف القرآن وقدره: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (ص: ١) (١).

وأيضاً توجيه النظر إلى الآيات الكونية، والمشاهد الطبيعية، للتوصل منها إلى خالقها، والتأمل فيها تأملاً يبين مبلغ نعمتها، وأنها غير جديرة بالعبادة، وإنما الجدير بالعبادة هو خالقها، وذلك كالقسم بالسماء وبنائها، وبالنفس وخلقها، في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ (٥) ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا﴾ (٦) ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) (الشمس: ٥ - ٧) وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (١) (النجم: ١) منبها بقوله: (هوى)، -أي غاب وسقط- إلا

أنه لا يجوز أن يعبد، لأنه مخلوق وعرضة للغيبة والزوال (٢).

(١) ينظر: الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب (ص: ٢٠٨).

(٢) المصدر السابق (ص: ٢٠٨)

"وللقسم في القرآن الكريم مقاصد كثيرة فوق التي ذكرناها، وفي طبيّاته مواطن للعظة والعبرة، ومجالات رحبة للتأمل والنظر، ولطائف خفية يكتشفها المؤمن بنور بصيرته، فيزداد بها يقيناً يسمو به إلى مراتب العارفين بربهم -جل جلاله وعز شأنه-"^(١).
والناظر في أغراض القسم من خلال ما أسلفنا، يجد أن في القسم معاني مفيدة، منها ما هو للتوكيد، كما أن القسم يقدّم قيمة بلاغية للكلام، ويغني المُقسِم عن الأدلة والبراهين اللازمة لإقناع السامع، فإن المتكلم عندما يُقسِم يشعر المخاطب بصدق قول المتكلم.

(١) دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (ص: ٣١٧).

الفصل الثاني

القسم بالأزمنة في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: القسم بالفجر والصبح والضحى والعصر.

المبحث الثاني: القسم بالشفق والليل والنهار والقيامة.

المبحث الأول

القسم بالفجر والصبح والضحى والعصر

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: القسم بالفجر في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: القسم بالصبح في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: القسم بالضحى في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: القسم بالعصر في القرآن الكريم.

المطلب الأول

القسم بالفجر في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾ (الفجر: ١).

أقسم الحق - تبارك وتعالى - بالفجر وما بعده لشرفها، وما فيها من الفوائد الدينية، وهي أنها دلائل باهرة، وبراهين قاطعة، على التوحيد، وفيها من الفوائد الدنيوية أنها تبعث على الشكر^(١).

وقال ابن الخطيب^(٢): "أقسم -تعالى- بما يحصل فيه، من حصول النور، وانتشار الناس، وسائر الحيوان في طلب الأرزاق، وذلك مُشاكل لنشور الموتى، وفيه عبرة لمن تأمل، كقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ۝١٨﴾ التكوير: ١٨، ومدح بكونه خالقاً، فقال سبحانه: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ۝﴾ الأنعام: ٩٦.."^(٣).

والفجر ضوء الصباح أول ظهوره في سواد الليل، ومنه يطلق على وقت ظهور هذا الضوء. وتقتصر معاجمنا على صيغة الفجر في هذا الاستعمال، فلا يقال أفجر فلان بمعنى دخل في الفجر، مثلما يقال أصبح وأضحى وأمسى المساء. وأما الفجر بدلالاته

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، لخازن (٤/ ٤٢٣).

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي، الإمام العلامة سلطان المتكلمين في زمانه، فخر الدين، أبو عبدالله، القرشي، البكري، التيمي، ثم الرازي، ابن خطيبها، إمام وقته في العلوم العقلية، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية، صاحب المصنفات المشهورة، ت: ٦٠٦هـ (ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (٢١ / ٥٠٠).

(٣) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي (٢٠ / ٣٠٩).

على ضوء الصباح أول ظهوره في سواد الليل، أو على وقته، فقد جاء منه في القرآن ست آيات: (القدر ٥، والبقرة ١٨٧، والإسراء ٧٨، والنور ٥٨) وآية الفجر^(١).

واختلفوا في معنى (الفجر) إلى أقوال، وأصحها ما روي عن ابن عباس، أنه قال: الفجر هو انفجار الصباح في كل يوم، أقسم الله -تعالى- به لما يحصل فيه من انقضاء الليل، وظهور الضوء، وانتشار الناس، وسائر الحيوانات في طلب الأرزاق^(٢). فالمراد بالفجر: الوقت الذي يبدأ فيه النهار في الظهور، بعد ظلام الليل، والتعريف فيه للجنس، لأن المقصود هذا الوقت من كل يوم. وقيل المراد بالفجر هنا: صلاة الفجر، لأنها صلاة مشهودة، أي: تشهدها الملائكة، كما أن التعريف فيه للعهد، فقيل: فجر يوم النحر، وقيل: فجر يوم الجمعة^(٣). وروي عن قتادة: "هو فجر أول يوم من المحرم منه تنفجر السنة"^(٤).

-
- (١) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت: ١٤١٩هـ)، دار النشر: دار المعارف - القاهرة، الطبعة: السابعة (٢/ ١٢٥-١٢٦).
- (٢) ينظر: التفسير الواضح، المؤلف: الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ (٣/ ٨٦٠).
- (٣) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى (١٥/ ٣٨٢).
- (٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٩ هـ (٢٠/ ٣٠٩).
- وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ (٥/ ٢٤٧).

وقيل: يريد صبيحة يوم النحر؛ لأن الله -تعالى- جعل لكل يوم ليلة قبله، إلا يوم النحر لم يجعل له ليلة قبله، ولا ليلة بعده؛ لأن يوم عرفة له ليلتان ليلة قبله وليلة بعده، فمن أدرك الموقف الليلة التي بعد عرفة فقد أدرك الحج إلى طلوع فجر يوم النحر^(١). وقال الضحاك^(٢): "فجر ذي الحجة؛ لأن الله -تعالى- قرن به الأيام، فقال تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر: ٢)، أي ليال عشر من ذي الحجة"^(٣). وقال الرازي: "هي العيون التي تنفجر منها المياه"^(٤).

ومن خلال ما سبق، فإن الرأي الذي يميل إليه الباحث، هو أن المقصود بالفجر أول وقت النهار. والذي يبين أن هذا الرأي هو الأرشد في فهم الآية، بالدلائل الآتية:

- ١ - إن قرينة السياق تعين عليه، فبعد ذكر الفجر، جاء ذكر الليالي العشر.
- ٢ - إن كلمة الفجر لم تستعمل في القرآن إلا في معنى أول ضوء النهار، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (البقرة: ١٨٧)، وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨)، وقوله

(١) ينظر: الباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي (٢٠ / ٣٠٩).

(٢) هو: الضحاك بن مزاحم البلخي المفسر، أبو القاسم. كناه ابن معين، وكان يؤدب، فيقال: كان في مكتبته ثلاثة آلاف صبي. ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ (٢ / ٣٢٥).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠ / ٣٩).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٥ / ٤٧٦).

تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ﴾ (النور: ٥٨)، وقوله تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطَّلَعَ الْفَجْرِ ۝﴾ (القدر: ٥).

٣ - إن أقوال أكثر أهل التفسير قد أجمعت على أن المقصود بالفجر؛ هو أول وقت النهار، وإن اختلفوا في جعل الفجر على إطلاقه، أو تحديد فجر يوم بعينه؛ فإن هذا الاختلاف هو من قبيل اختلاف التنوع^(١).

وأما جواب القسم، أو المُقَسَّم عليه، يمكن تحديده في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝﴾ (الفجر: ٥)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ۝﴾ (الفجر: ١٤).

والمعنى: إن من كان ذا لب، وعقل، علم أن ما أقسم الله - عز وجل - به من هذه الأشياء، فيه عجائب، ودلائل، تدل على توحيده، وربوبيته. فهو حقيق بأن يقسم به لدلالته على خالقه. وقيل: جواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ۝﴾ (الفجر: ١٤)، واعترض بين القسم، وجوابه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝﴾ (الفجر: ٦)، وقيل: جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الأشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝﴾؟ إلى قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ (الفجر: ١٣)، وقوله - عز وجل -: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝﴾؟ أي ألم تعلم

(١) المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل، عبد الفتاح إبراهيم سلامة، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثانية عشرة، العدد السابع والأربعون والثامن والأربعون، رجب - ذو الحجة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م (ص: ١٩٢).

وإنما أطلق لفظ الرؤية على العلم؛ لأن أخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم^(١).

وقال ابن جزى^(٢): ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ (الفجر: ٥)، هذا توقيف -سؤال-، يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها. والحجر هنا هو: العقل. كأنه يقول: إن هذا لقسم عظيم عند ذوي العقول. وجواب القسم محذوف، وهو: ليأخذن الله الكفار، ويدل على ذلك ما ذكره بعده من أخذ عاد وثمود وفرعون^(٣).

وقيل: "أقسم ليقعن الكفار في قبضة القوي القادر، وليعذبهم عذابًا شديدًا كما عذب غيرهم من الأمم التي كذبت وكفرت، وكان عاقبة أمرها خسرًا، وها هي ذي أخبارهم بالإجمال. ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ ﴿٦﴾، بعد أن أرسل لها هودًا، فكذبت وكفرت بالله^(٤).

قال الطنطاوي: "والتقدير: وحق هذه المخلوقات لتعذبين -أيها الكافرون- كما عذب الذين من قبلكم، مثل عاد وثمود وفرعون. فإن قيل: ما فائدة قوله -تعالى-: ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ (الفجر: ٥)، بعد أن أقسم -سبحانه- بالأشياء المذكورة؟ قلنا: هو

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٤/ ٤٢٤).

(٢) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي، أبو القاسم، (ت: ٧٤١هـ)، فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، والتسهيل لعلوم التنزيل. ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م (٥/ ٣٢٥).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزى (٢/ ٤٧٨).

(٤) التفسير الواضح، الحجازي (٣/ ٨٦٠).

لزيادة التأكيد والتحقيق للمقسم عليه، كمن ذكر حجة باهرة، ثم قال: أفيما ذكرته حجة؟^(١).

والمعنى: أن كل ذلك دال على أن كل ما أقسم الله -تعالى- به من هذه الأشياء، فيه دلائل وعجائب على التوحيد والربوبية، فهو حقيق بأن يقسم به، لدلالته على خالقه. وهذه الآية تدل على أن القسم واقع برب هذه الأمور؛ لأن الآية دالة على أن هذه مبالغة في القسم، والمبالغة لا تحصل، إلا في القسم بالله تعالى؛ ولأن النهي قد ورد بأن يحلف العاقل بغير الله تعالى^(٢). والله أعلم.

وخلاصة ما نستفيده من هذا القسم في هذه الآيات؛ فإن (الواو) حرف القسم، و (الفجر) هو المُقسم به، وجواب القسم ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ﴾، وأن وجه الصلة بين المُقسم به (الفجر) وجواب القسم، أن من كان ذا لب فهو يعلم أن ما أقسم الله به فيه دلالة على قدرة الله -سبحانه وتعالى- وحكمته؛ إذ هو القادر على أن يكون بالمرصاد لأعمال عباده.

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥ / ٣٨٥).

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٢٠ / ٣١٥).

المطلب الثاني

القسم بالصبح في القرآن الكريم

أقسم الله - عز وجل - بالصبح في موضعين: الأول: قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (المدثر: ٣٤). وقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير: ١٨).

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (المدثر: ٣٤).

في هذا الموضع، جاء القسم بالصبح بعد قَسَمِينَ قبله: قال تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ﴾ (٣٢) ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا دَبَّرَ﴾ (٣٣) ﴿وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (٣٤) (المدثر: ٣٢ - ٣٤).

حرف القسم (الواو) في قوله: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ﴾، والمُقَسَّم به قال تعالى: ﴿وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (٣٤)، معطوف على القمر، ومُقَسَّم به معه، وقد جاء القسم بالصبح حال إسفاره، وظهوره^(١). وجواب القسم قوله - تعالى -: ﴿إِنِّي لَأَحَدِي الْكَبِيرِ﴾ (٢٥) (٢).

وأما قسمه بهذه الأشياء: "فهو للفت أنظار المشركين إلى تلك الآثار الباهرة التي تدل على قدرة الله القادرة، على أن هذا القلب، والتغيير من حال إلى حال ومن نور إلى ظلام ثم منه إلى ضياء على جواز البعث والانتقال من حال الفناء إلى حال الحياة. أقسم بالقمر ونوره كيف ينشأ صغيراً ثم يكبر ثم يعود صغيراً صغيراً حتى المحاق، وهذا الليل بجحافله، وسكونه وهدوئه، وموت الطبيعة فيه، ثم يأتي الصبح بأضوائه اللامعة

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (١٥ / ١٣٠٠).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت (٩ / ٦٠).

ووجهه المشرق وحياته الحافلة، أقسم بهذا كله على أن جهنم المعدة للمكذبين الذين يتخذون القرآن عضيّن، هي إحدى الكبر من جهة أنها نذير للبشر، لمن شاء منكم أيها البشر أن يتقدم للخير، ولمن شاء أن يتأخر بفعل الشر"^(١).

قال ابن القيم: "أقسم -سبحانه- بهذه الأشياء الثلاثة، وهي: القمر والليل إذا أدير والصبح إذا أسفر، على المعاد، لما في القسم من الدلالة على ثبوت المقسم عليه، فإنه يتضمن كمال قدرته وحكمته وعنايته بخلقه، وإبداء الخلق، وإعادته كما هو مشهود في إبداء النهار والليل وإعادتهما، وفي إبداء النور، وإعادته في القمر، وفي إبداء الزمان وإعادته الذي هو حاصل بسير الشمس والقمر، وإبداء الحيوان والنبات وإعادتهما، وإبداء فصول السنة وإعادتها، وإبداء ما يحدث في تلك الفصول وإعادته، فكل ذلك دليل ظاهر على المبدأ والمعاد الذي أخبرت به الرسل كلهم عنه، فصرف سبحانه الآيات الدالة على صدق رسله"^(٢). وفي هذه الآيات قسم بالمشاهد الكونية المذكورة وحركاتها، ومنها الصبح، -محور دراستنا في هذه المسألة-، بأن الذي يبلغ وحي الله هو رسول كريم أمين على ما ينقل قوي على حمل الأمانة حظي عند الله، وبأن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ليس مجنوناً، وبأنه قد رأى ملك الله في أفق السماء، وبأنه صادق فيما يقول غير متهم في أمانته، وغير مخف شيئاً مما رآه وسمعه وعرفه، وبأن ما يبلغه ليس من تخليط الشيطان الرجيم وأقواله"^(٣).

(١) التفسير الواضح، الحجازي (٣/ ٧٨١).

(٢) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ١٧٢).

(٣) ينظر: التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة،

١٣٨٣هـ (١/ ٥٠٣).

وقال القنوجي^(١): "وقوله: ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبْرِ﴾^(٣٥)، قرأ الجمهور (لأحدى) بالهمزة، وقرىء (لحدى)، بدونها وهذا جواب القسم، والضمير راجع إلى سقر، أي أن سقر لأحدى الدواهي أو البلايا الكبرى، والكبر جمع كبرى"^(٢).

وقد أقسم الله - عز وجل - بها، لعظم منافعها، كما لا يخفى وجوب القسم لهذه الأيمان الثلاث، قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبْرِ﴾^(٣٥) (المدثر: ٣٥)، الأمور العظام لأنها إحدى دركات النار السبعة^(٣).

وقال الشوكاني^(٤): "﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبْرِ﴾^(٣٥) هذا جواب القسم، والضمير راجع إلى سقر، أي: إن سقر لأحدى الدواهي، أو البلايا الكبرى"^(٥).

(١) محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني، البخاري، القنوجي الهندي (أبو الطيب) عالم، أمير. ولد في قنوج بالهند، وتوفي سنة: (١٣٠٧هـ). ينظر: معجم المؤلفين، كحالة (١٠ / ٩٠ - ٩١).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ (١٤ / ٤١٧).

(٣) ينظر: بيان المعاني، المؤلف: عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مطبعة الترقى - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ (١ / ١١٠).

(٤) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ثم الصنعاني، ولد يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة، سنة ١١٧٣هـ، بهجرة شوكان، ونشأ بصنعاء وتعلم على أيدي علمائها، وصنف تصانيف عديدة، منها: (شرح المنتقى) ، و (البدر الطالع) ، و (الدرر البهية) ، وغيرها، وقد تولى القضاء في مدينة صنعاء، ومات سنة ١٢٥٠هـ. ينظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، (٢ / ٢١٤ : ٢٢٥) ، دار المعرفة، بيروت، لبنان. والأعلام، خير الدين الزركلي، (٦ / ٢٩٨).

(٥) فتح القدير (٥ / ٣٩٧).

ومناسبة القسم ب: القمر، والليل إذ أدبر، والصبح إذا أسفر، أن هذه الثلاثة تظهر بها أنوار في خلال الظلام، فناسبت حالّي: (الهدى والضلال) من قوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (المدثر: ٣١)، ومن قوله: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر: ٣١)، ففي هذا القسم تلويح إلى تمثيل حال الفريقين من الناس عند نزول القرآن بحال اختراق النور في الظلمة. أقسم بالليل في حالة إدباره التي مضت، وهي حالة متجددة تمضي وتحضر وتستقبل، فأى زمن اعتبر معها فهي حقيقة، بأن يقسم بكونها فيه، ولذلك أقسم بالصبح إذا أسفر، مع اسم الزمن المستقبل^(١).

وخلاصة ما سبق؛ فإن المعنى: وقسمًا بالقمر، والليل حين ينقضي ويولي، والصبح حين يسفر؛ بأن سقر التي ينذر الكفار بها حقيقة وليست وهمًا، وأنها إحدى آيات الله الكبرى. وحرف القسم هو (الواو) في قوله: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ﴾ (المدثر: ٣٤)، والمقسم به: (الصبح حين يسفر) عطفاً على المقسم به قبله، وجواب القسم قوله -تعالى-: ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ﴾^(٢)، والغرض من القسم، تنبيه للمشركين، ودعوة للنظر إلى آثار وقدره الله سبحانه -الباهرة التي تدل على عظمته وقدرته.

(١) التحرير والتوير، لابن عاشور (٢٩ / ٣٢٢).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ ۝١٨﴾ (التكوير: ١٨).

وجاء الموضع الثاني من القسم بزمن الصبح في سورة التكوير؛ إذ جاء مقرونًا بأقسام أخرى، قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُسِّ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ۝١٨﴾ (التكوير: ١٥ - ١٨).

أقسم الله - تعالى - بهذه الأشياء، لأنها في حركاتها المختلفة، من ظهور وأقول، ومن إقبال وإدبار.. تدل دلالة ظاهرة على قدرة الله - تعالى -، وعلى بديع صنعه في خلقه^(١).

وقال القاسمي^(٢): "أقسم الله - تعالى - بهذه الدراري لينوه بشأنها من جهة ما في حركاتها من الدلائل على قدرة مصرفها ومقدرها، وإرشاد تلك الحركات إلى ما في كونها من بديع الصنع وإحكام النظام، مع نعتها، في القسم بما يبعدها عن مراتب الألوهية من الخنوس والكنوس، تقريرًا لمن خصّها بالعبادة واتخذها من دونه أربابًا، وفي الليل إذا أدبر، زوال تلك الغمة التي تغمر الأحياء بانسدال الظلمة، بعد ما استعادت الأبدان نشاطها، وانتعشت من فتورها. وفي الصبح إذا تنفس، بشرى الأنفس بالحياة الجديدة في النهار الجديد، تتطلق فيه الإرادات إلى تحصيل الرغبات، وسد الحاجات، والاستدراك، والاستعداد لما هو آت"^(٣).

(١) التفسير الوسيط، لطنطاوي (١٥ / ٣٠٢).

(٢) جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، توفي سنة: (١٣٣٢ هـ).

(٣) من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الأدب. مولده ووفاته في دمشق. ينظر: الأعلام للزركلي (٢ / ١٣٥).

(٣) محاسن التأويل (٩ / ٤١٨).

وأما معنى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾ (١٨) ، قال المراغي^(١): "أي والصبح إذا أسفر وظهر نوره"^(٢). وقال الشربيني^(٣): "وقوله: ﴿إِذَا نَفَسَ﴾ (١٨) ، أي: امتد حتى يصير نهارًا بيّنًا، يقال للنهار إذا زاد تنفس، ومعنى التنفس: خروج النسيم من الجوف، وفي كيفية المجاز قولان: الأول: أنه إذا أقبل الصبح، أقبل بإقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نفسًا له على المجاز، فقيل: تنفس الصبح. الثاني: أنه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون، الذي حبس بحيث لا يتحرك، فإذا تنفس وجد راحة، فهنا لما طلع الصبح، فكأنه تخلص من ذلك الحزن، فعبر عنه بالتنفس"^(٤).

وقال مثله الخازن^(٥): "وفي تنفسه قولان أحدهما: أن في إقبال الصبح روحًا، ونسيمًا، فجعل ذلك نفسًا على المجاز الثاني، أنه شبه الليل بالمكروب المحزون، فإذا تنفس وجد راحة، فكأنه تخلص من الحزن، فعبر عنه بالتنفس، فهو استعارة لطيفة"^(٦).

-
- (١) أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها. وولي نظارة بعض المدارس. وعين أستاذًا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وتوفي سنة: (١٩٥٢م). ينظر: الأعلام للزركلي (١/ ٢٥٨).
- (٢) تفسير المراغي (٣٠ / ٥٩).
- (٣) محمد بن احمد الشربيني، القاهري، الشافعي، المعروف بالخطيب الشربيني، فقيه، مفسر، متكلم نحوي، صرفي. توفي في ٢ شعبان ١٥٧٠م. ينظر: معجم المؤلفين (٨ / ٢٦٩).
- (٤) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٤ / ٤٩٣).
- (٥) علي بن محمد بن إبراهيم الشحي علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادي الأصل، ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السمساطية فيها. وتوفي بجلب سنة: (٧٤١ هـ). ينظر: الدرر الكامنة (٣ / ٩٧).
- (٦) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٤ / ٣٩٩).

وقال الرازي: "وهو مثل قوله: ﴿وَأَلَّيْلٌ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٤﴾ (المدثر: ٣٣ - ٣٤). وقوله: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ ۝١٨﴾، إشارة إلى تكامل طلوع الصبح فلا يكون فيه تكرار. وأما قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ ۝١٨﴾، أي إذا أسفر كقوله: وا ﴿وَأَلَّيْلٌ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٤﴾ ثم في كيفية المجاز قولان: أحدهما: أنه إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نفسا له على المجاز، وقيل تنفس الصبح. والثاني: أنه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث لا يتحرك، واجتمع الحزن في قلبه، فإذا تنفس وجد راحة. فههنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وهو استعارة لطيفة" (١).

"وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩﴾ (التكوير: ١٩)، وقوله تعالى:

﴿إِنَّهُ ۝١٩﴾ أي: القرآن، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩﴾، هو المُقَسَّم عليه، والمعنى: أنه لقول رسول عن الله -تعالى-، كريم على الله -تعالى-، أي: انتفت عنه وجوه المذام كلها، وثبت له وجوه المحامد كلها، وهو جبريل -عليه السلام-. وأضاف الكلام إليه؛ لأنه قاله عن الله -عز وجل- (٢).

وقال القاسمي: وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩﴾، يعني روح القدس الذي ينفث في روعه -صلى الله عليه وسلم- وهو جبريل -عليه السلام-.

(١) مفاتيح الغيب (٦٩ / ٣١).

(٢) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٤ / ٤٩٣).

والضمير إما للبعث والجزاء، المفهوم من قوله تعالى: ﴿عَمَّتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ (التكوير: ١٤)، أو للمذكور وهو هذا أو للقرآن ذي قوة أي على تحمل أعباء الرسالة، وعلى كل ما يؤمر به، كما جاء في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾﴾ (النجم: ٥)، عند ذي العرش مكين أي صاحب مكانة وشرف ومنزلة لديه تعالى مطاع ثم أي في الملأ الأعلى أمين أي على وحيه تعالى ورسالته^(١).

وقال المراغي: "ثم ذكر المحلوف عليه فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾، أي إن ما أخبركم به محمد -صلى الله عليه وسلم- من أمر الساعة ليس بكهانة ولا اختلاق، بل هو قول نزل به جبريل وحيًا من ربه، وإنما كان قوله لأنه هو الذي حمله إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-"^(٢).

وقال الخازن: "ولما ذكر المقسم به أتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ﴾ يعني القرآن لقول: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾، يعني جبريل -عليه الصلاة والسلام-، والمعنى أن جبريل نزل به عن الله -عز وجل-: ذي قوة وكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط الأربع من الماء الأسود، وحملها على جناحه، فرفعها إلى السماء، ثم قلبها، وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى -عليه الصلاة والسلام- على بعض عقاب الأرض المقدسة، فنفحه بجناحه نفحة، ألقاه إلى أقصى جبل بالهند، وأنه صاح صيحة بثمود، فأصبحوا جاثمين، وأنه يهبط من السماء إلى الأرض، ثم يصعد في أسرع من رد الطرف عند ذي العرش مكين أي في المنزلة والجاه مطاع ثم أي في السموات تطيعه الملائكة، ومن طاعة الملائكة له أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله -صلى الله عليه

(١) ينظر: محاسن التأويل (٩ / ٤١٩).

(٢) تفسير المراغي (٣٠ / ٥٩).

وسلم- وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله أمين يعني على وحي الله تعالى إلى أنبيائه وما صاحبكم يعني محمدًا -صلى الله عليه وسلم- يخاطب كفار مكة بمجنون، وهذا أيضًا من جواب القسم، أقسم على أن القرآن نزل به جبريل وأن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- ليس بمجنون كما يقول أهل مكة، وذلك أنهم قالوا إنه مجنون، وأن ما يقوله ليس هو إلا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون، وكون القرآن من عند نفسه" (١).

وهو كذلك قول أكثر المفسرين: "أراد بالرسول «جبريل» وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به، وهو في الحقيقة قول الله تعالى، ومما يدل على أن المراد به جبريل قوله بعده ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (التكوير: ٢٠)، أي شديد القوة، صاحب مكانة رفيعة، ومنزلة سامية عند الله -عز وجل- (٢).

فالمقسم عليه هو كتاب الله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩)، أي: أنه لتبليغ من الله إلى رسوله على لسان جبريل، وبهذه المناسبة وصفت الآيات الكريمة ما جبل عليه جبريل من الخصال الرفيعة، وما أكرمه به من المكانة عنده، فقال تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (٢٠) ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير: ٢٠ - ٢١)، كما وصفت الآيات الكريمة ما تحقق من رؤية الرسول -صلى الله عليه وسلم- له مشاهدة وعيانا: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (التكوير: ٢٣)، وختمت سورة "التكوير" بالتنويه بكتاب الله، ودعوة العالمين إلى الاهتداء بهديه والاستنارة بنوره، فقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧) ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: ٢٧ - ٢٩) (٣).

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤ / ٣٩٩).

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م (٣ / ٥٠٠).

(٣) التيسير في أحاديث التفسير (٦ / ٣٨٦).

وخلص القول فيما ذكرناه؛ فقد أقسم الله بزمان الصبح تعظيمًا له، معطوفًا على أقسام قبله في الموضعين، كما أشرنا إلى ذلك، والمقسم به (الصبح حين يظهر نوره)، وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾، وما جاء بهذه الأقسام، إلا لمنزلة المقسم عليه، وعظمة شأنه عند الله -تعالى-.

المطلب الثالث

القسم بالضحى في القرآن الكريم

لقد أقسم الله -تعالى- بالضحى في القرآن الكريم في موضوعين، الأول: في سورة الشمس، قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ (الشمس: ١). والثاني: في سورة الضحى: قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾ (الضحى: ١).

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ (الشمس: ١).

أقسم المولى -سبحانه وتعالى- في سورة الشمس بأقسام عدة في سورة الشمس، ابتدأها بالشمس ووقت ضحاها، وختَمها بالنفس ومسويها. قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا لِلَّهِ ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَرَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠﴾ (الشمس: ١ - ١٠). وفي هذه الآيات العشر: يُقسم الله -تعالى- بسبع آيات كونية، هي: الشمس، والقمر، والليل، والنهار، والسماء، والأرض، والنفس البشرية، مع حالة لكل مقسم به، وذلك على شيء واحد، وهو فلاح من زكى تلك النفس، وخيبة من دساها، ومع كل آية جاء القسم بها، توجيهًا إلى أثرها العظيم المشاهد الملموس، الدال على القدرة الباهرة، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ (الشمس: ١). فالشمس وحدها آية دالة على قدرة خالقها، لما فيها من طاقة حرارية في ذاتها تفوق كل تقدير، وهي على الزمان بدون انتقاص، فهي في ذاتها آية^(١).

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٥٣٦).

وقال الثعلبي: "أقسم الله تعالى بالشمس: إما على التنبيه منها على الاعتبار المؤدي إلى معرفة الله تعالى، وإما على تقدير ورب الشمس" (١).

قال الشوكاني: "أقسم -سبحانه- بهذه الأمور، وله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وقال قوم: إن القسم بهذه الأمور ونحوها مما تقدم، ومما سيأتي هو على حذف مضاف، أي: ورب الشمس، ورب القمر، وهكذا سائرهما، ولا ملجئ إلى هذا ولا موجب له" (٢).

"واعلم أنه -تعالى- ينبه عباده دائماً، بأن يذكر في القسم أنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة، حتى يتأمل المكلف فيها، ويشكر عليها؛ لأن الذي يقسم الله -تعالى- به يحصل له وقع في القلب، فتكون الدواعي إلى تأمله أقوى" (٣).

والواو هنا للقسم، وما بعدها من واوات؛ هي حرف عطف، تعطف هذه الأقسام بعضها على بعض.. هكذا يكون الإنسان حين مولده.. إنه أشبه بالشمس في إشراقه ووضاءته (٤).

وأما معنى (الضحى)، في قوله تعالى: ﴿وَضُحًى﴾، ففيه خلاف، فقال مجاهد: (وضحاها) أي: ضوءها وإشراقها، وأضاف الضحى إلى الشمس، لأنه إنما يكون عند ارتفاعها، وكذا قال الكلبي. وقال الفراء: الضحى: هو النهار" (٥).

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥ / ٥٩٤).

(٢) فتح القدير (٥ / ٥٤٥).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٣١ / ١٧٣).

(٤) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (١٦ / ١٥٨٣).

(٥) فتح القدير، للشوكاني (٥ / ٥٤٥).

وذكر القنوجي: "أصل الضحى الصبح، وهو نور الشمس، وقيل الضحوة ارتفاع النهار، والضحى فوق ذلك" (١).

وقال قتادة: "هو النهار كله" (٢). وقال مقاتل: "حرها، كقوله -سبحانه- في طه: ﴿وَلَا تَضْحَى﴾ (طه: ١١٩)، يعني ولا يؤذيك الحر" (٣).

والباحث يرى أن قول مجاهد ومن ذهب معه -ضوؤها وإشراقها-، هو الأقرب للصواب، وهو المعروف في اللغة (٤). والله أعلم.

واختلفوا أيضًا في جواب القسم ماذا هو؟ فقيل: هو قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ (الشمس: ٩)، قاله الزجاج (٥) وغيره. قال الزجاج: وحذفت اللام؛ لأن الكلام قد طال، فصار طوله عوضًا منها، وقيل: الجواب محذوف، أي: والشمس، وكذا: لتبعثن، وقيل: تقديره: ليدمد من الله على أهل مكة، لتكذيبهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، كما دمدم على ثمود، لأنهم كذبوا صالحًا، وأما قد أفلح من زكّاها، فكلام تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٨)، على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القسم

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥ / ٢٥١).

(٢) التفسير المظهرى، المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية - الباكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ (١٠ / ٢٦٩).

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (١٠ / ٢١٢).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢ / ٤٨٦).

(٥) هو: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج النحوي اللغوي، المفسر. أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه. له من الكتب: معاني القرآن، الاشتقاق، العروض، مختصر النحو. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا (٢ / ٢٥١)، معجم المؤلفين (١ / ٣٣).

في شيء، وقيل: هو على التقديم والتأخير بغير حذف، والمعنى: قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها، والشمس وضحاها، والأول أولى^(١). والله أعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ١﴾ (الضحى: ١).

أداة القسم في قوله -تعالى-: ﴿وَالضُّحَىٰ ١﴾ هي (الواو)، والمقسم به (الضحى)،

وجواب القسم ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٢﴾ (الضحى: ٣)^(٢).

وتستهل السورة بالقسم بالواو، والرأي السائد عند الأقدمين، أن هذا القسم القرآني يحمل معنى التعظيم للمقسم به، قال ابن قيم الجوزية: "واقسامه - تعالى - ببعض مخلوقاته، دليل على أنها من عظيم آياته، فالقسم بالضياء للإشارة إلى تعظيم أمر الضياء، وإعظام قدر النعمة فيه، ولفت أذهاننا إلى أنه آية من آيات الله الكبرى، ونعمة العظمى" لكنه في القسم بالليل، اضطر -تحت سيطرة فكرة التعظيم بالقسم- إلى التماس وجه الإعظام فيه، في قسر يكفي لبيانه أن يرى في الليل أشبه بالجلال الإلهي"، وقال محمد عبده-رحمه الله-: "أما القسم بالليل فلأنه أمر يهولك، ويدخل عليك من إنقباض النفس عن الحركة، واضطرارها للوقوف عن العمل، وركونها إلى السكون، ما لا تجد عنه مفراً، فهذا سلطان من الخوف مبهم، لا تحيط بأسبابه، ولا بتفصيل أطواره، فهو أشبه بالجلال الإلهي، يأخذك من جميع أطرافك، وأنت لا تدري من أين يأخذك، وهو مظهر من مظاهره، ثم في هذا السكون من راحو الجسم والعقل، وتعويض ما فقده بالتعب بياض النهار، ما لا تحصي فوائده"^(٣).

(١) فتح القدير للشوكاني (٥ / ٥٤٥-٥٤٦).

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، درويش (١٠ / ٥٠٩).

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد، المعروفة ببنت الشاطي (١ / ٢٤).

وفي معناها، يقول الشنقيطي: "أقسم المولى - سبحانه وتعالى - بالضحي والليل هنا فقط؛ لمناسبتها للمقسم عليه، لأنهما طرفا الزمن، وظرف الحركة والسكون، فإنه يقول له مؤانسا: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (الضحى: ٣) ، لا في ليل، ولا في نهار" (١).

وقال قتادة: "أقسم بالضحي الذي كلم الله -تعالى- فيه موسى، وبليلة المعراج التي عرج فيها النبي -صلى الله عليه وسلم-، فإن قيل: ما الحكمة في أنه -تعالى- قدم هنا الضحي، وفي السورة التي قبلها الليل؟ أجيب: بأن لكل منهما أثرا عظيما في صلاح العالم" (٢).

وقال بعضهم: هو ساعة من النهار، وهي من أول النهار، ويقال: صلاة الضحي، وهي عند ضحوة النهار. وهذا القول لا يختلف كثيرا مع القول الأول. ومنهم من يقول: هو كناية عن الحر؛ كقوله: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا ﴾ (طه: ١١٨) ، إلى قوله: ﴿ وَلَا تَضْحَى ﴾ (طه: ١١٩)، أي: لا يصيبك الحر، والله أعلم. ومنهم من يقول: هو كناية عن النهار كله، أقسم به، وبالليل الذي ذكر. فإن كان المراد من الضحي هو ضوء النهار، ومن ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ (الضحى: ٢): ظلمته؛ فيخرج القسم به على أن ظلمة الليل تستر الخلائق كلهم في طرفة عين، وكذلك ضوء النهار يكشف الستر، ويجلي بطرفة عين جميع الخلائق، من غير أن يعلم أحد ثقل ذلك الستر أو خفة ذلك الضوء، فأقسم بذلك لعظيم ما فيهما من الآية. وإن كان المراد منه نفس الليل والنهار؛ فالقسم بهما لما جعل فيهما من المنافع الكثيرة (٣).

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٨ / ٥٥٤).

(٢) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٤ / ٥٤٨).

(٣) تأويلات أهل السنة، الماتريدي (١٠ / ٥٥٦).

قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم جل ثناؤه بالشمس ونهارها؛ لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار"^(١).

"وجواب القسم قوله - تعالى - : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (الضحى: ٣)، أى: ما تركك ربك - أيها الرسول الكريم - منذ أن اختارك لحمل رسالته، وما أبغضك ولا كرهك، بل أنت محل رضانا ومحبتنا ورعايتنا"^(٢).

"فتأمل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه وتأمل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الألفاظ والجلالة التي على معانيها، ونفى - سبحانه - أن يكون ودع نبيه، أو قلاه، فالتوديع: الترك، والقلَى: البغض، فما تركه منذ اعتنى به وأكرمه، ولا أبغضه منذ أحبه، وأطلق - سبحانه - أن الآخرة خير له من الأولى، وهذا يعم كل حالة يرقيه إليها، هي خير له مما قبلها، كما أن الدار الآخرة خير له مما قبلها"^(٣).

وخلاصة القول؛ فإن حرف القسم (الواو)، والمقسم به (الضحى)، وجواب القسم: هو: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (الضحى: ٣)، وهكذا يتبين الارتباط اللطيف بين المقسم به، الذي هو زمان الضحى، وجواب القسم، الذي هو: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾، المتضمن معنى النفي لكل ظن عند النبي - صلى الله عليه وسلم -، من أن يكون الله - سبحانه - وتعالى - قد تركه، أو أبغضه في أي زمن من حياة دعوته.

(١) جامع البيان، للطبري (٢٤ / ٤٥١).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥ / ٤٢٧).

(٣) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ٧٣).

المطلب الرابع

القسم بالعصر في القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ (العصر: ١).

أداة القسم (الواو)، والمقسم به (العصر)، ويأتي جواب القسم في قوله -تعالى-:
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝١﴾... (١).

"أقسم المولى -سبحانه وتعالى- بالعصر، الذي هو زمان أفعال الإنسان، ومحلها على عاقبة تلك الأفعال، وجزائها، ونبه بالمبدأ، وهو خلق الزمان، والفاعلين، وأفعالهم على المعاد، وأن قدرته كما لم تقصر عن المبدأ، لم تقصر عن المعاد، وأن حكمته التي اقتضت خلق الزمان، وخلق الفاعلين وأفعالهم، وجعلها قسمين: خيراً، وشرّاً، تأبى أن يسوى بينهم، وأن لا يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وأن يجعل النوعين رابحين أو خاسرين، بل الإنسان من حيث هو إنسان خاسر، إلا من رحمه الله، فهداه ووفقه للإيمان والعمل الصالح في نفسه، وأمر غيره به، وهذا نظير رده الإنسان إلى أسفل سافلين، واستثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء المردودين" (٢).

وفي بيان علة القسم، يقول القاسمي: "أقسم -تعالى- بالعصر، لانطوائه على تعاجيب الأمور القارة والمارة. ولذا قيل له (أبو العجب)؛ ولأنه يذكر بما فيه من النعم وأضدادها. فينبه الإنسان على أنه مستعد للخسران والسعادة. وللتنويه به والتعظيم من شأنه، تعريضا ببراءته مما يضاف إليه من الخسران والذم" (٣).

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، درويش (١٠ / ٥٧٢).

(٢) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ٨٤).

(٣) محاسن التأويل (٩ / ٥٣٥).

وفي الغرض من القسم بالعصر، قال ابن عاشور: "أقسم الله -تعالى- بالعصر، قسمًا يراد به تأكيد الخبر، كما هو شأن أقسام القرآن. والمقسم به من مظاهر بديع التكوين الرباني الدال على عظيم قدرته وسعة علمه. وللعصر معان يتعين أن يكون المراد منها، لا يعدو أن يكون حالة دالة على صفة من صفات الأفعال الربانية، يتعين إما بإضافته إلى ما يقدر، أو بالقرينة، أو بالعهد، وأيًا ما كان المراد منه هنا، فإن القسم به باعتبار أنه زمن يذكر بعظيم قدرة الله -تعالى- في خلق العالم وأحواله، وبأمر عزيمة مباركة مثل الصلاة المخصوصة، أو عصر معين مبارك"^(١).

واختلف أهل التفسير في المراد من (العصر) إلى أقوال، وأبرزها قول من قال: أن المراد بالعصر، هو الدهر كله، أقسم الله به لما فيه من العجائب، أمة تذهب وأمة تأتي، وقدر ينفذ، وآية تظهر، وهو هو لا يتغير، ليل يعقبه نهار، ونهار يطرده ليل، فهو في نفسه عجب. كما قيل: موجود شبيه المعدوم، ومتحرك يضاها السكون. فهو في نفسه آية، سواء في ماضيه، لا يعلم متى كان، أو في حاضره، لا يعلم كيف ينقضي، أو في مستقبله"^(٢).

والذين قالوا بهذا القول - أنه الدهر كله-، إنما قالوا به لوجوه: منها: ما جاء في القراءة الشاذة أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ «والعصر ونوائب الدهر»^(٣)، وحمله العلماء إن صح على التفسير، لا على أنه من القرآن؛ لهذا لا يجوز قراءته في الصلاة. ومنها: أن الدهر يشتمل على الأعاجيب الدالة على كمال قدرة خالقها من تغاير الملل

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠ / ٥٢٨).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٩ / ٨٧).

(٣) بزيادة "ونوائب الدهر" سورة العصر، آية: ١، وهي قراءة يرويها الطبري في تفسيره: جامع البيان، ت شاكر (٢٤ / ٥٨٩).

والدول وسائر الأحوال الكلية والجزئية، بل نفس الدهر من أعجب الأشياء؛ لأنه موجود يشبه المعدوم ومتحرك يضاهي الساكن. ومنها: أن عمر الإنسان كبعض منه، وفي تخصيص القسم به إشارة إلى أن الإنسان يضيف المكاره والنوائب إليه، ويحيل شقاءه وخسرانه عليه، فأقسام الله -تعالى- به، دليل على شرفه، وأن الشقاء والخسران إنما لزم، الإنسان لعيب فيه، لا في الدهر؛ ولذلك قال -صلى الله عليه وسلم-: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»^{(١)...}^(٢).

وقيل: "أراد به صلاة العصر، أقسم بها لشرفها؛ ولأنها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (البقرة: ٢٣٨)، لما قيل هي صلاة العصر، والذي في مصحف عائشة -رضي الله عنها-، والصلاة الوسطى صلاة العصر، وفي الصحيحين «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»^(٣). وقال صلى الله عليه وسلم «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»^{(٤)....}^(٥).

وقيل: "العصر هو آخر النهار، أقسم الله به، كما أقسم بالفجر والضحى؛ لأن آخر النهار يشبه تخريب العالم، وإماتة الأحياء، كما أن أول النهار يشبه بعث الأموات، وعمارة العالم، فعند ذلك إقامة الأسواق، ونصب الموازين ووضع المعاملات، وفيه إشارة

(١) صحيح مسلم، كتاب الأدب، باب النهي عن سب الدهر، حديث رقم: (٢٢٤٦).

(٢) غرائب القرآن ورجائب الفرقان، للنيسابوري (٦ / ٥٥٨).

(٣) صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب: الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى، حديث برقم: (٦٢٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب المحافظة على الصلاة، حديث رقم: (٥٥٢).

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٤ / ٤٦٦).

إلى أن عمر الدنيا ما بقي إلا بقدر ما بين العصر إلى المغرب، فعلى الإنسان أن يشتغل بتجارة لا خسران فيها، فإن الوقت قد ضاق، وقد لا يمكن تدارك ما فات^(١).

وقيل: أراد بالعصر زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أقسم بزمانه، كما أقسم بمكانه في قوله: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝﴾ (البلد: ١ - ٢)، نبه بذلك على أنه زمانه أفضل الأزمان وأشرفها^(٢).

وقال ابن عاشور: "وأشهر إطلاق لفظ العصر، أنه علم بالغلبة لوقت ما بين آخر، وقت الظهر وبين اصفرار الشمس، فمبدؤه إذا صار ظل الجسم مثله بعد القدر الذي كان عليه عند زوال الشمس، ويمتد إلى أن يصير ظل الجسم مثلي قدره، بعد الظل الذي كان له عند زوال الشمس، وذلك وقت اصفرار الشمس، والعصر مبدأ العشي، ويعقبه الأصيل والاحمرار وهو ما قبل غروب الشمس، فذلك وقت يؤذن بقرب انتهاء النهار"^(٣).

والقول الأول، أنه الدهر، هو الذي يميل إليه الباحث، وهو قول أكثر أهل التفسير، وهو ما رجّحه ابن القيم واختاره الطبري، فقال: "والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر (والعصر) اسم للدهر، وهو العشي، والليل والنهار، ولم يخصص

(١) غرائب القرآن ورجائب الفرقان، للنيسابوري (٦ / ٥٥٩).

(٢) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٤ / ٤٦٦).

(٣) التحرير والتتوير (٣٠ / ٥٢٨).

مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكل ما لزمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم به
جل ثناؤه" (١).

وقال ابن القيم: "وأكثر المفسرين على أنه الدهر، وهذا هو الراجح، وتسمية الدهر
عصرًا، أمر معروف في لغتهم، قال:

ولن يلبث العصران يوم وليلة ... إذا طلبا أن يدركا ما تيمما.

ويوم وليلة بدل من العصران، فأقسم سبحانه بالعصر، لمكان العبرة والآية فيه، فإن
مرور الليل والنهار على تقدير قدرة العزيز العليم منتظم لمصالح العالم على أكمل
ترتيب ونظام، وتعاقبهما واعتدالهما تارة وأخذ أحدهما من صاحبه تارة واختلافهما في
الضوء والظلام والحر والبرد وانتشار الحيوان وسكونه وانقسام العصر إلى القرون
والسنين والأشهر والأيام والساعات وما دونها آية من آيات الرب تعالى وبرهان من
براهين قدرته وحكمته" (٢).

واما جواب القسم، أو المُقسَم عليه، فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ

﴿٢﴾ (العصر: ٢)، أي لفي خسران ونقصان قيل أراد بالإنسان جنس الإنسان بدليل
قولهم كثر الدرهم في أيدي الناس أي الدرهم وذلك لأن الإنسان لا ينفك عن خسران،
لأن الخسران هو تضييع عمره؛ وذلك لأن كل ساعة تمر من عمر الإنسان، إما أن
تكون تلك الساعة في طاعة، أو معصية، فإن كانت في معصية، فهو الخسران المبين
الظاهر، وإن كانت في طاعة، فلعل غيرها أفضل، وهو قادر على الإتيان بها، فكان
فعل غير الأفضل تضييعا وخسرانا، فبان بذلك أنه لا ينفك أحد من خسران، وقيل إن

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤ / ٥٨٩).

(٢) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ٨٤).

سعادة الإنسان في طلب الآخرة وحبها، والإعراض عن الدنيا، ثم إن الأسباب الداعية إلى حب الآخرة خفية، والأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة؛ فلهذا السبب كان أكثر الناس مشغولين بحب الدنيا، مستغرقين في طلبها، فكانوا في خسارة وبوار، قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم، وقيل أراد بالإنسان الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين، فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (العصر: ٣) يعني فإنهم ليسوا في خسر، والمعنى أن كل ما مر من عمر الإنسان في طاعة الله -تعالى-، فهو في صلاح وخير، وما كان بضده، فهو في خسر وفساد وهلاك^(١).

وتأمل حكمة القرآن لما قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (العصر: ٢)، فإنه ضيق

الاستثناء وخصصه فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا

بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ٣)، ولما قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ﴾ (التين: ٥)، وسع الاستثناء

وعممه فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (التين: ٦)، ولم يقل وتواصوا، فإن التواصي

هو أمر الغير بالإيمان، والعمل الصالح، وهو قدر زائد على مجرد فعله، فمن لم يكن

كذلك فقد خسر هذا الربح، فصار في خسر، ولا يلزم أن يكون في أسفل سافلين، فإن

الإنسان قد يقوم بما يجب عليه، ولا يأمر غيره، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٤/ ٤٦٦).

مرتبة زائدة، وقد تكون فرضاً على الأعيان، وقد تكون فرضاً على الكفاية، وقد تكون مستحبة^(١).

وخلاصة القول من خلال ما سبق، فإن أداة القسم (الواو). والمقسم به (العصر). وجواب القسم ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (العصر: ٢)، والتقدير إجمالاً: ورب العصر، إن كل إنسان لفي خسر؛ إلا من اتصف بالإيمان والعمل الصالح. وقد أقسم الله بزمان العصر، على أن الإنسان الذي يهمل إيمانه ومرضاه ربه، إنسان خاسر، مهما كان رابحاً من مظاهر الحياة، لأنه قد خسر الجنة، وخسر الكمال المقدر له فيها، وخسر مرضاة الله وطاعته.

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ٨٥).

المبحث الثاني

القسم بالشفق والليل والنهار وبيوم القيامة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: القسم بالشفق في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: القسم بالليل في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: القسم بالنهار في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: القسم بيوم القيامة في القرآن الكريم.

المطلب الأول

القسم بالشفق في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (١٦) ﴿الانشقاق: ١٦﴾.

أقسم المولى - سبحانه - بثلاثة أشياء متعلقة بالليل، أحدها: الشفق، قال تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (١٦) ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (١٧) ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ (١٨) ﴿الانشقاق: ١٦ - ١٨﴾.

إن هذه الأقسام المنفية في القرآن، إنما يقسم بها على أمور واضحة، لا تحتاج في تقرير حقيقتها، وتوكيد وجودها، إلى قسم.. فالتلويح بالقسم هنا إشارة إلى أن ما يقسم عليه لا يحتاج إلى قسم لمن عنده أدنى نظر، أو مسكة عقل، فهو في الواقع قسم مؤكد بهذا النفي الذي وقع عليه^(١).

وقد ورد القسم على مثال ذلك كثيرًا في القرآن الكريم، ومنها هذه الآيات: ﴿فَلَا أُقْسِمُ

بِالشَّفَقِ﴾ (١٦) ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (١٧) ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ (١٨) ﴿الانشقاق: ١٦ - ١٨﴾. وأيضًا قوله

تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْحُنسِ﴾ (١٥) ﴿أَلْجَوَارِ الْكُنسِ﴾ (١٦) ﴿التكوير: ١٥ - ١٦﴾، وقوله تعالى: ﴿لَا

أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ (١) ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (٢) ﴿القيامة: ١ - ٢﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَا

أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) ﴿الواقعة: ٧٥﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ

﴾ (٤٠) ﴿المعارج: ٤٠﴾، وقوله تعالى: ﴿و﴾ (٣٨) ﴿وَمَا لَا بُصُرُونَ﴾ (٣٩) ﴿الحاقة: ٣٨

- ٣٩﴾، وقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) ﴿البلد: ١﴾. ويرى بعض المفسرين أن (لا)

ليست زائدة لا معنى لها، بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسمًا به على منفي،

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (١٦ / ١٥٠٦).

كقول عائشة رضي الله عنها: «لا والله ما مست يد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يد امرأة قط»^{(١)...}^(٢).

وقد استعرض كتاب الله أمام الإنسان عدة مشاهد كونية تدفعه إلى مزيد من التأمل والتدبر والاعتبار، واختار الوحي الإلهي هذه المشاهد هنا من بين مشاهد الليل، لا من بين مشاهد النهار؛ إذ الليل أجمع للفكر، وظواهره أدعى إلى التأمل العميق، والاعتبار الدقيق، فأشار كتاب الله في هذا السياق إلى "الشفق الأحمر" الذي يلاحق غروب الشمس في أول الليل، ويمتد إلى وقت العشاء، ولمنظره روعة وأية روعة، وإيحاء وأي إيحاء^(٣).

أقسم في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشفق الذي هو بقية نور الشمس، الذي هو مفتتح الليل^(٤).

(١) صحيح البخاري، عن عروة، كتاب الشروط، باب: إذا أسلمت المشركة أو النصرانية، حديث رقم: (٥٢٨٨).

(٢) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ (٢٧ / ٢٧٨).

(٣) ينظر: التيسير في أحاديث التفسير، المؤلف: محمد المكي الناصري (ت: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م (٦ / ٤٠٠).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ (ص: ٩١٧).

ولا شك أن قَسَمَهُ -سبحانه وتعالى- بمخلوقاته، هو على جهة التشريف لها،
وتعريضها للعبارة، إذ القسم بها منبه منها^(١).

وفي القسم بهذه الأشياء، دليل واضح على قدرة الله- تعالى- الباهرة؛ لأن هذه
الأشياء تتغير من حال إلى حال، ومن هيئة إلى هيئة، فالشفق حالة تأتي في أعقاب
غروب الشمس، والليل يأتي بعد النهار، والقمر يكتمل بعد نقصان، وكل هذه الحالات
الطارئة، دلائل على قدرة الله- تعالى-^(٢).

وأما معنى الشفق، في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾^(٣) (الانشقاق: ١٦)، ففيه
خلاف عند أهل التفسير؛ فقال مجاهد: هو النهار كله. وقال عكرمة: ما بقي من
النهار. وقال قوم: هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة. وقال ابن عباس، وأكثر
المفسرين: هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس^(٤).

وقال ابن عباس: "هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس؛ إذ يقول به
أكثر أهل التفسير، وممن قال به منهم على سبيل المثال، لا الحصر: البيضاوي، إذ
يقول: "الحمرة التي ترى في أفق المغرب بعد الغروب"^(٤).

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية(٥/ ٤٥٨).

(٢) التفسير الوسيط، لطنطاوي (١٥/ ٣٣٧).

(٣) ينظر: تفسير البغوي، إحياء التراث (٥/ ٢٢٩).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٥/ ٢٩٨).

وذكره ابن عطية^(١): "الشفق، الحمرة التي تعقب غيبوبة الشمس مع البياض، التابع لها في الأغلب"^(٢).

وقال الواحدي^(٣): "يعني: الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، وهذا قول المفسرين، وأهل اللغة جميعاً"^(٤).

ويؤكد هذا القول ما ذكره الزمخشري، إذ يقول: "الشفق: الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس، ويسقطه يخرج وقت المغرب، ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء"^(٥).

وقال الرازي: "تركيب لفظ الشفق في أصل اللغة لرقعة الشيء، ومنه يقال: ثوب شفق كأنه لا تماسك لرقته، ويقال: للرديء من الأشياء شفق، وأشفق عليه إذا رق قلبه عليه والشفقة رقة القلب ثم اتفق العلماء على أنه اسم للأثر الباقي من الشمس في الأفق بعد غروبها إلا ما يحكى عن مجاهد أنه قال: الشفق هو النهار، ولعله إنما ذهب إلى هذا،

(١) هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، (ت: ٥٤٢ هـ) من محارب قيس، الغرناطي، ابو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث. الأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٢).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٥/ ٤٥٨).

(٣) هو أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، تلميذ أبي إسحاق الثعلبي، وأحد من برع في العلم، وكان كما يقول الذهبي رأساً في اللغة العربية، توفي في المحرم سنة (٤٦٨ هـ). ينظر: أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠ هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عام النشر: ١٤٠٩ هـ (١/ ١٤).

(٤) التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ٤٥٤).

(٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٤/ ٧٢٧).

وذهب عامة العلماء إلى أنه هو الحمرة، وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل، ومن أهل اللغة قول الليث والفراء والزجاج^(١).

فإن قال قائل: لماذا يقسم الله على خبره، وهو -سبحانه- الصادق بلا قسم؟ وكذلك يقسم النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- على خبره، وهو صادق بلا قسم؟ قلنا: إن القسم يؤكد الكلام، والقرآن الكريم نزل باللسان العربي، وإذا كان من عادتهم أنهم يؤكدون الكلام بالقسم، صار هذا الأسلوب جاريًا على اللسان العربي الذي نزل به القرآن^(٢).
وخلاصة ما ذكرناه في معنى الشفق، فإن الصواب من القول أن يُقال: إن الله أقسم بالشفق، وأن الشفق هو الحمرة، التي تُرى في المغرب، بعد سقوط الشمس؛ لأن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء عليه، ولأن شواهد كلام العرب، والاشتقاق، والسنة تشهد له.
والله أعلم.

وأما جواب القسم -المقسم عليه-، فهو قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾^(١٩)،

هذا جواب القسم^(٣).

والمعنى: إنكم أيها الناس ستمرون بأحوال، تركبونها حالًا بعد حال، من ابتداء أمركم بكونكم نطفًا في الأرحام، إلى خروجكم من بطون أمهاتكم، إلى معاينتكم أحوال

(١) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي (٣١ / ١٠١).

(٢) تفسير جزء عم، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، إعداد وتخريج:

فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ

(ص: ١١٦).

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٥ / ٤٩٥).

الدنيا ونكدها، إلى وصولكم لأحوال الآخرة وهولها، حتى يدخل كل فريق منزله: الجنة، أو النار^(١).

وقال القنوجي: "﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾، أيها الناس ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، حالًا بعد حال، هذا جواب القسم، أو على الحال من ضمير لتركبن، أي، مجاوزين، أو مجاوزًا، قرىء بفتح الموحدة على أنه خطاب للواحد، وهو النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو لكل من يصلح له، وقرىء بضم الموحدة خطابًا للجمع وهم الناس. قال الشعبي^(٢) ومجاهد: لتركبن يا محمد سماء بعد سماء، قال الكلبي^(٣): يعني تصعد فيها، وهذا على القراءة الأولى، وقيل: درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله، ورفعة المنزلة. وقيل المعنى: لتركبن حالًا بعد حال، كل حالة منها مطابقة لأختها في الشدة، وقيل المعنى: لتركبن أيها الإنسان حالًا بعد حال من كونك نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم حيًا، وميتًا، وغنيًا، وفقيرًا، فالخطاب للإنسان المذكور في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ

(١) تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيَّار، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثامنة، ١٤٣٠ هـ (ص: ١٠١).

(٢) هو: عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار -وذو كبار: قيل من أقبال اليمن - الإمام، علامة العصر، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي مؤلِّدُه: في إمرة عمَرَ بن الخطَّابِ، لِسِتِّ سِنِينَ خَلَّتْ مِنْهَا، (ت: ١٠٣ هـ). ينظر سير اعلام النبلاء (٢٩٥/٤). وينظر: وأخبار القضاة ٢ / ٤٢٥).

(٣) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو ابن الحارث الكلبي، أبو النضر: نسابة، رواية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب. من أهل الكوفة، توفي سنة ١٤٦ هـ. ينظر: تهذيب التهذيب ٩ / ١٧٨ ووفيات الأعيان ١ / ٤٩٣ وميزان الاعتدال ٣ / ٦١

﴿الانشقاق: ٦﴾، واختار أبو حاتم^(١)، وأبو عبيدة القراءة الثانية، قالوا: لأن المعنى

بالناس، أشبه منه بالنبي -صلى الله عليه وسلم-^(٢).

وقال المراغي: "﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾^(١٩)، أي لتلاقن أيها الناس أموراً بعد أمور وأحوالاً بعد أحوال، إلى أن تصيروا إلى ربكم وهناك الخلود في جنة أو نار، ويدخل في هذه الأحوال جميع الأطوار التي مرت به منذ أن كان نطفة في بطن أمه، إلى أن صار شخصاً، وما مر به في حياته الأولى من طفولة وشيخوخة، ثم موته ثم حشره للحساب، ثم مصيره إلى الجنة أو النار"^(٣).

والخلاصة لما سبق، فجواب القسم، قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾^(١٩)، ومعناه: لتركبين حالاً بعد حال، والحال الثانية تطابق الأولى، أي لتكونين في حياة أخرى، تماثل هذه الحياة التي أنتم فيها وتطابقها، من حيث الحس والإدراك، والألم واللذة، وإن خالفت في بعض شئونها الحياة الأولى^(٤).

وعليه؛ فإن الأمر ليس كما يظن المشركون من أنه لا بعث يوم القيامة ولا جزاء؛ فقد أقسم المولى بالشفق ليؤكد هذه الحقيقة الحتمية، وتغير الإنسان من حال إلى حال بعد الموت، موت ثم حياة ثم عرض ثم حساب ثم جزاء، وهذا معنى جواب القسم: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾^(١٩)، وليس كما يتصور المنكرون لهذه الحقيقة.

(١) هو سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني: من كبار العلماء باللغة والشعر. ينظر

ترجمته في معجم الأدباء ٢٦٣/١١ ووفيات الأعيان ٤٣٠/٢ وإنباه الرواة ٥٨/٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي (١٥١ / ١٥).

(٣) تفسير المراغي (٩٥ / ٣٠).

(٤) ينظر: المصدر نفسه (٩٥ / ٣٠).

المطلب الثاني

القسم بالليل في القرآن الكريم

"الليل هو أكثر المخلوقات التي أقسم الله بها في القرآن الكريم؛ إذ أقسم به في ثمانية مواضع، سبعة منها مفردًا، وفي واحد منها جاء بالجمع، وهي قوله: ﴿وَلَيْالٍ عَشْرِ﴾ (الفجر: ٢). وكان القسم فيها جميعها بأداة القسم الواو مقسمًا به، أو معطوفًا على قسم قبله، وجاء في القرآن الكريم سورة باسمه (سورة الليل)، وهذا يدل على أن الليل عظيم عند الخالق - سبحانه وتعالى -، الذي أقسم به، ولعل تكرار القسم بالليل في القرآن الكريم؛ لأنه معجزة في خلقه، وتتابع أحواله، ومن الآيات الدالة على قدرته - سبحانه -.

فأقسم المولى بهذا الزمن - الليل -، الذي يأوي فيه كل حيوان إلى مأواه، ويسكن الخلق عن الاضطراب، ويغشاهم النوم الذي جعله الله تعالى راحة لأبدانهم، وغذاء لأرواحهم" (١).

ويستحسن أن نورد آيات القسم بالليل هنا، ثم نفنّد كل قَسَم على حدة، في مسألة مستقلة، وهي كما يلي:

قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ (المدثر: ٣٣).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ (التكوير: ١٧).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (الانشقاق: ١٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْالٍ عَشْرِ﴾ (٢) ﴿وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ﴾ (٣) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾ (٤) (الفجر: ٢ - ٤).

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي المعروفة ببنت الشاطيء (٢/ ١٠١).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۚ﴾ (الشمس: ٤).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ (الليل: ١).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (الضحى: ٢).

وهذه هي المواضع الثمانية التي ورد فيها القسم بزمن الليل في القرآن الكريم، وأما بيان معانيها، فهي كما يلي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۚ﴾ (المدثر: ٣٣).

لقد مر معنا حيثيات القسم في هذه الآية، عند ذكرنا لآية القسم بالصبح، لاقترانها بها، وسنكتفي هنا بذكر معنى الآية، مع الإشارة إلى جواب القسم، لاكتمال المعنى دون توسع. ففي قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۚ﴾، جاء قبله القسم بالقمر، ثم عُطِفَ القسم بالليل إذ أدبر. وفي معنى: (أدبر)، يقول أبو حيان: "ويقال دبر وأدبر، بمعنى واحد. أقسم تعالى بالليل تشريفًا له، وتبنيهاً على ما يظهر به وفيه من عجائب الله وقدرته، وقوام الوجود بإيجاده"^(١). وقد ذكرنا أن القسم؛ لتأكيد ما قصد إليه بالذكر، وإدبار الليل بمجيء النهار، فجاز أن يكون ذكر آخر الليل يقتضي ذكر أوله، وذكر أول النهار يقتضي ذكر النهار كله؛ فيكون القسم بهما قسمًا بالليل كله، والنهار كله^(٢).

وأما جواب القسم، فقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبَرِ ۚ﴾ هذا هو المُقْسَمُ عليه"^(٣).

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (١٠ / ٣٣٥).

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت:

٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، - الطبعة: الأولى،

٢٠٠٥ م (١٠ / ٣٢٢).

(٣) ينظر: فتح القدير، الشوكاني (٥ / ٣٩٧).

وقد بيّناه بالتفصيل عند حديثنا عن القسم بالصبح إذا أسفر، بما يغني عن إعادته.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَلَيْلٍ إِذَا عَسَسَ﴾ (التكوير: ١٧).

وفي هذا الموضع أيضًا، أقسم الله بالكواكب، ثم عطف القسم بالليل على القسم

بالكواكب ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْحُسِّ﴾ (التكوير: ١٥) «لا» زائدة للتوكيد، أي فأقسم بالخنس^(١).

وعطف القسم بالليل على القسم بالكواكب لمناسبة جريان الكواكب في الليل؛ ولأن

تعاقب الليل والنهار من أجل مظاهر الحكمة الإلهية في هذا العالم. وعسس الليل

عسعسًا وعسعسة، قال مجاهد عن ابن عباس: أقبل بظلامه، وقال مجاهد أيضًا عن

ابن عباس معناه: أدبر ظلامه^(٢).

قال ابن القيم: "والأكثر على أن عسس بمعنى ولى، وذهب، وأدبر، هذا قول

علي وابن عباس"^(٣).

وقال الفراء: "أجمع المفسرون على أن معنى «عسس»: أدبر"^(٤).

وقيل: "أدبر. تقول العرب: عسس الليل وسعسع إذا أدبر ولم يبق منه إلا

اليسير"^(٥). وقال القاسمي: "أقسم الله -تعالى- بهذه الدراري، لينوه بشأنها من جهة ما

في حركاتها من الدلائل، على قدرة مصرفها ومقدرها، وإرشاد تلك الحركات إلى ما في

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٠٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠/ ١٥٤).

(٣) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ١١٨).

(٤) الباب في علوم الكتاب، لابن عادل (٢٠/ ١٨٧).

(٥) تفسير البغوي، إحياء التراث (٥/ ٢١٧).

كونها من بديع الصنع وإحكام النظام، مع نعتها، في القسم، بما يبعدها عن مراتب الألوهية" (١).

ولما ذكر المُقسَم به، أتبعه بالمقسم عليه، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ (التكوير: ١٩)، (إنه)، يعني القرآن، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾، يعني جبريل -عليه السلام- (٢). والمعنى: إن هذا القرآن، لقول رسول كريم، عن الله بلّغه، يعني جبريل -عليه السلام-، كريم عند مرسله (٣).

هكذا وصف الله جبريل -عليه السلام- بالكريم، لكرم أخلاقه، وكثرة خصاله الحميدة، فإنه أفضل الملائكة، وأعظمهم رتبة عند ربه، ﴿ذِي قُوَّةٍ ﴿٢٠﴾﴾ (التكوير: ٢٠)، على ما أمره الله به. ومن قوته أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم (٤).

وخلاصة القول؛ فالمُقسَم به في قوله -تعالى-: ﴿وَأَلَيْلٍ إِذَا عَسَّسَ ﴿١٧﴾﴾ (التكوير: ١٧)،

عُطِفَ على أداة القسم بالكواكب في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾﴾ (التكوير: ١٥)؛ إذ أشرنا

أن «لا» زائدة للتوكيد، أي فأقسم بالخنس. وجواب القسم ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾. إن

هذا القرآن، لقول رسول كريم.

(١) محاسن التأويل (٩ / ٤١٨).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٤ / ٣٩٩).

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢ / ٨٠٩١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت:

١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى

١٤٢٠هـ (ص: ٩١٣).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَأَلِيلٍ وَمَا وَسَقَ﴾ (الانشقاق: ١٧).

أركان القسم في هذا الموضع سبق ذكره عند الحديث عن القسم بالشفق، ونعيده هنا باختصار، لإثبات القسم بالليل في هذه الآيات.

فقد جاء القسم بـ ﴿وَأَلِيلٍ وَمَا وَسَقَ﴾، بعد القسم بالشفق، ومعنى القسم بالليل هنا: "أي والليل وما جمعه من المخلوقات. قيل: كأنه أقسم بكل شيء كقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٩) (الحاقة: ٣٨ - ٣٩)"^(١).

وقال الطبري: "يقول: والليل وما جمع مما سكن وهذا فيه من ذي روح كان يطير، أو يدب نهاراً، يقال منه: وسقته أسقه وسقاً، ومنه طعام موسوق، وهو المجموع في غرائر أو وعاء، ومنه الوسق، وهو الطعام المجتمع الكثير مما يكال أو يوزن، يقال: هو ستون صاعاً"^(٢).

وأما جواب القسم، فهو كما ذكرناه في القسم بالشفق، هو قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (١٩)، "لما أنكروا البعث أقسم الله -سبحانه- أن ذلك كائن وأن الناس يلقون بعد الموت شدائد متنوعة وأحوالاً مترتبة حتى يتبين السعيد من الشقي والمحسن من المسيء"^(٣).

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٨ / ٤٧٣).

(٢) جامع البيان، للطبري (٢٤ / ٣١٨).

(٣) غرائب القرآن ورجائب الفرقان، النيسابوري (٦ / ٤٧١).

فما أقسم الله -تعالى- به في هذا الموضع، فيه دلالة قطعية على صحة القول بتغيير أحوال الناس بعد الموت من بعث، وحساب، وجزاء، كما أشرنا في حديثنا عند القسم بالشفق، فالله -سبحانه- هو القادر على تغيير الأحوال.

الآية الرابعة والخامسة: وقوله تعالى: ﴿وَلَيْالِ عَشْرِ ۝٢﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ۝٤﴾ (الفجر: ٢، ٤).

"القسم بهذه الأزمنة من حيث إن بعضها، دلائل بديع صنع الله وسعة قدرته، فيما أوجد من نظام، يظهر بعضه بعضاً، من ذلك وقت الفجر الجامع بين انتهاء ظلمة الليل وابتداء نور النهار، ووقت الليل الذي تمحضت فيه الظلمة. وهي مع ذلك أوقات لأفعال من البر وعبادة الله وحده، مثل الليالي العشر، والليالي الشفع، والليالي الوتر. والمقصود من هذا القسم، تحقيق المقسم عليه، لأن القسم في الكلام من طرق تأكيد الخبر، إذ القسم إظهار المقسم به على ما تضمنه كلامه. وقسم الله تعالى متمحض لقصد التأكيد"^(١).

وقد أقسم المولى -سبحانه وتعالى- في هذا الموضع -سورة الفجر- بأربعة أشياء، منها ثلاثة أزمان: الفجر، والليالي العشر، والليل إذا يسر. أما الليالي العشر: فأقوال المفسرين محصورة في عشر ذي الحجة، وعشر المحرم، والعشر الأواخر من رمضان. والأول: جاء على أنها العشر التي ذكرها الله في قصة موسى -عليه السلام-:

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠/٣١٢).

﴿وَأَتَمَمْتَهَا بِعَشْرِ﴾ (الأعراف: ١٤٢)، والأقوال الثلاثة مروية، عن ابن عباس. وليس في القرآن نص بعينها^(١).

وذكره ابن كثير واختاره، فقال: "المراد بها عشر ذي الحجة. كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وغير واحد من السلف، والخلف. وقد ثبت في الصحيح، عن ابن عباس مرفوعاً: "ما من أيام العمل الصالح، أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام" -يعني عشر ذي الحجة-، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: "ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء"^(٢). وقيل: "المراد بذلك العشر الأول من المحرم. وروي عن ابن عباس: ﴿وَالْيَالِ عَشْرٍ﴾^(٣)، قال: هو العشر الأول من رمضان. والصحيح القول الأول؛ عن جابر، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن العشر عشر الأضحى"^(٣).

ويؤيده ما جاء في السنة في بيان فضيلة عشر ذي الحجة، وعشر رمضان كما هو معلوم، فإن جُعِلَ الفجر خاصاً بيوم النحر، كان عشر ذي الحجة أقرب للسياق. والله تعالى أعلم^(٤).

وأما قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾^(٤) (الفجر: ٤).

وهذا قسم خامس، بعدما أقسم بالليالي العشر على الخصوص، أقسم بالليل على العموم^(٥).

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٨ / ٥٢١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب: خرج بنفسه وماله في سبيل الله، حديث رقم: (٢٨٤٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ت سلامة (٨ / ٣٩٠).

(٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٨ / ٥٢١).

(٥) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي (٢٠ / ٣١٣).

ومعنى (يسري): "يمضي سائراً في الظلام، أي إذا انقضى منه جزء كثير، شبه تقضي الليل في ظلامه بسير السائر في الظلام، وهو السرى، كما شبه في قوله: ﴿وَأَلَيْلٍ إِذْ أَدْبَرَ﴾ (المدثر: ٣٣). وقال: ﴿وَأَلَيْلٍ إِذَا سَجَى﴾ (الضحى: ٢)، أي تمكن ظلامه واشتد" (١).

وقال البيضاوي (٢): "والليل إذا يسر) إذا يمضي كقوله: والليل إذ أدبر، والتقيد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة، على كمال القدرة، ووفور النعمة، أو يسرى فيه من قولهم: (صلى المقام)، وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفاً، وقد خصه نافع وأبو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب أصلاً، وقرأ «يسر» بالنتوين المبدل من حرف الاطلاق" (٣).

وقال أبو حيان: "والليل إذا يسر: قَسَمَ بجنس الليل، ويسري: يذهب وينقرض، كقوله: ﴿وَأَلَيْلٍ إِذْ أَدْبَرَ﴾ (المدثر: ٣٣)" (٤).

ومن خلال ما سبق، فإن سري الليل: هو ذهابه وانقراضه، وهذا قول الجمهور (٥).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠ / ٣١٥).

(٢) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي، الشافعي (ناصر الدين، أبو سعيد)، قاض، عالم بالفقه والتفسير والاصلين والعربية والمنطق والحديث. توفي بتبريز، معجم المؤلفين (٦ / ٩٧).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٥ / ٣٠٩).

(٤) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (١٠ / ٤٧٠).

(٥) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٥ / ٥٨٥). وينظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي (٢٠ / ٣١٣).

وأما جواب القسم، فقد ذكرناه عند بيان القسم بزمان الفجر، ما يغني عن إعادته،
وخلاصة القول فيه؛ أنه يمكن تحديده في قوله تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ

﴿٥﴾ (الفجر: ٥)، إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾ ﴿١٤﴾ (الفجر: ١٤). والله أعلم.

الآية السادسة والسابعة: قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ ﴿٤﴾ (الشمس: ٤). وقوله

تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ ﴿١﴾ (الليل: ١).

ذكرنا أن الله - سبحانه - أقسم بالليل في جميع أحواله، إذ هو من آياته الدالة عليه،
فأقسم به وقت غشيانه، وأتى بصيغة المضارع، لأنه يغشى شيئاً بعد شيء، وأما النهار

فإنه إذا طلعت الشمس ظهر، ولهذا قال في سورة الشمس وضحاها: ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى

﴿٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ ﴿٤﴾ (الشمس: ٣ - ٤)، وأقسم به وقت سريانه، كما تقدم، وأقسم به

وقت إدباره، كما تقدم أيضاً، وأقسم به إذا عسعس، فقليل معناه: أدبر، فيكون مطابقاً

لقوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴾ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ ﴿٣٤﴾ (المدثر: ٣٣ - ٣٤)، وقيل معناه: أقبل،

فيكون كقوله: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ ﴿٢﴾ (الليل: ١ - ٢)، فيكون قد أقسم بإقبال

الليل والنهار، وعلى الأول يكون القسم واقعاً على انصرام الليل، ومجيء النهار عقيبته،

وكلاهما من آيات ربوبيته^(١).

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ٥٥).

وفي معنى الآيتين في الموضعين، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۚ﴾ (الشمس: ٤). وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ (الليل: ١). يقول الرازي: "يعني يغشى الليل الشمس، فيزيل ضوءها، وفي الآية التي في الشمس ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۚ﴾، تقوي القول الأول في الآية التي قبلها من وجهين الأول: إنه لما جعل الليل يغشى الشمس، ويزيل ضوءها حسن أن يقال: النهار يجليها، على ضد ما ذكر في الليل. والثاني: أن الضمير في يغشاها للشمس بلا خلاف، فكذا في جلاها يجب أن يكون للشمس حتى يكون الضمير في الفواصل من أول السورة إلى هاهنا للشمس، قال القفال: وهذه الأقسام الأربعة ليست إلا بالشمس في الحقيقة، لكن بحسب أوصاف أربعة أولها: الضوء الحاصل منها عند ارتفاع النهار. وذلك هو الوقت الذي يكمل فيه انتشار الحيوان، واضطراب الناس للمعاش، ومنها تلو القمر لها، وأخذة الضوء عنها، ومنها تكامل طلوعها وبروزها بمجيء النهار، ومنها وجود خلاف ذلك بمجيء الليل، ومن تأمل قليلاً في عظمة الشمس، ثم شاهد بعين عقله فيها أثر المصنوعية والمخلوقية من المقدار المتناهي، والتركب من الأجزاء، انتقل منه إلى عظمة خالقها، فسبحانه ما أعظم شأنه"^(١).

وقال القرطبي^(٢): "أي يغشى الشمس، فيذهب بضوئها عند سقوطها، قال مجاهد وغيره. وقيل: يغشى الدنيا بالظلم، فتظلم الآفاق. فالكناية ترجع إلى غير مذكور"^(٣).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٣١/ ١٧٥).

(٢) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي المالكي، أبو عبد الله، مفسر، صاحب تصانيف، من أشهر كتبه: (تفسير القرطبي) مطبوع في عشرين مجلداً وهو التفسير المشهور، من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب بمصر، وتوفي فيها سنة: ٦٧١هـ. ينظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠/ ٧٤).

ويقول الطبري: "والليل إذا يغشي الشمس، حتى تغيب فتظلم الآفاق" (١).

ويقول الإيجي: "أي: الشمس، فإنها تغيب في الليل" (٢). ومثل هذا، قاله البغوي (٣)،

والثعلبي (٤)، وابن كثير (٥). وغيرهم من أهل التفسير.

وأما جواب القسم، -المقسم عليه-، ففي الموضع الأول، قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا

يَغْشَاهَا ۚ﴾ (الشمس: ٤). فجوابه، قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ۙ﴾ (١)، وعلى هذا

وقع القسم (٦). وقال الطبري: "وهذا هو موضع القسم، وعن قتادة، قال: قد وقع القسم ها

هنا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ۙ﴾... (٧).

وفي الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۙ﴾ (الليل: ١).

فجملة قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۙ﴾ (الليل: ٤)، جواب القسم (٨).

وقال الواحدي: "جواب القسم قوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۙ﴾ قال ابن عباس: إن

أعمالكم لمختلفة: عمل للجنة، وعمل للنار" (٩).

(١) جامع البيان، للطبري (٤٥٣ / ٢٤).

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٤ / ٤٩٦).

(٣) ينظر: تفسير البغوي - إحياء التراث (٥ / ٢٥٨).

(٤) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠ / ٢١٣).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ت سلامة (٨ / ٤١١).

(٦) ينظر: النكت والعيون، الماوردي (٦ / ٢٨٤).

(٧) جامع البيان، للطبري ت شاکر (٢٤ / ٤٥٦).

(٨) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠ / ٣٨٠).

(٩) التفسير الوسيط للواحدي (٤ / ٥٠٢).

وقال الشنقيطي: "وهذا جواب القسم، وفي القسم ما يشعر بالارتباط به، كُبعد ما بين الليل والنهار، وما بين الذكر والأنثى، فهما مختلفان تمامًا، وهكذا هما مفترقان في النتائج والوسائل، كُبعد ما بين فلاح من زكاها، وخيبة من دساها، المتقدم في السورة قبلها"^(١).

فهذا هو جواب القسم، ومعناه: إن عملكم مختلف، فمنه حسنات، ومنه سيئات، وشتى، جمع شتيت^(٢).

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَأَلَيْلٍ إِذَا سَجَى﴾ (الضحى: ٢).

"أقسم الله - عز وجل - بالليل إذا سجي، يعني إذا غطى بهيمه ضوء النهار، فأقسم الله - عز وجل - ببدا الليل والنهار"^(٣).

والغرض من القسم؛ "إبطال قول المشركين إذ زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبي - صلى الله عليه وسلم - قد انقطع عنه، وزاده بشارة بأن الآخرة خير له من الأولى على معنيين في الآخرة والأولى. وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه. وذلك يغيظ المشركين"^(٤).

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨ / ٥٤٧).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢ / ٤٨٨).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت:

١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى

- ١٤٢٣ هـ (٤ / ٧٣١).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠ / ٣٩٤).

واختلف أهل التأويل في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَلَّيْلٍ إِذَا سَجَى﴾ (٢)، فقال بعضهم: معناه: والليل إذا أقبل بظلامه. وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا ذهب. وقال آخرون: معناه: إذا استوى وسكن (١).

قال الطبري: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك، قول من قال معناه: والليل إذا سكن بأهله، وثبت بظلامه" (٢).

وجواب القسم؛ قوله - تعالى -: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الضحى: ٣)، أي: ما تركك ربك - أيها الرسول الكريم - منذ أن اختارك لحمل رسالته، وما أبغضك ولا كرهك، بل أنت محل رضانا ومحبتنا ورعايتنا، والمقصود: نفى أن يكون الله - تعالى - قد قطع وحيه عن نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - (٣).

وخلاصة القول؛ فقد أقسم المولى - سبحانه وتعالى - بالضحى والليل إذا سجد، بأنه قد أنعم على رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأكرمه، فهو قسم على صحة النبوة، التي كذبها كفار قريش، وقالوا ما قالوا، أن الوحي قد انقطع عنه - صلى الله عليه وسلم -، فكان هذا القسم؛ أنه ما ودَّعه وما أبغضه، وأنه محل رضا الرب - سبحانه -.

(١) جامع البيان ت شاكر (٢٤ / ٤٨٢).

(٢) المصدر السابق (٢٤ / ٤٨٤).

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥ / ٤٢٧).

المطلب الثالث

القسم بالنهار في القرآن الكريم

أقسم الله بزمن النهار في القرآن الكريم في موضعين، ووردا في سورتين متتاليتين (الشمس، والليل). قال تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ (الشمس: ٣). وقال تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ (الليل: ٢).

في سورة الشمس جاء معطوفاً بعد قسمٍ قبله، وهو القسم بالشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها. والثاني: في سورة الليل، وهو كذلك معطوفاً بعد قسمٍ سبقه، وهو القسم بالليل إذا يغشى.

قال المفسرون: "أقسم -تعالى- بالنهار لأن فيه حركة الخلق وسعيهم إلى اكتساب الرزق، والحكمة في هذا القسم ما في تعاقب الليل والنهار من مصالح لا تحصي، فإنه لو كان العمر كله ليلاً لتعذر المعاش، ولو كان كله نهاراً لما سكن الإنسان إلى الراحة، ولاختلت مصالح البشر"^(١).

وقال الرازي: أقسم الله بالنهار إذا تجلّى؛ لأن النهار إذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة، وجاء الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم وتتحرك الطير من أوكارها والهوام من مكانها، فلو كان الدهر كله ليلاً لتعذر المعاش، ولو كان كله نهاراً لبطلت الراحة، لكن المصلحة كانت في تعاقبهما على ما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ

(١) صفوة التفاسير، للصابوني (٣/ ٥٤١).

الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ (الفرقان: ٦٢)، وقوله تعالى:
﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ (إبراهيم: ٣٣)..(١).

وفي معنى: ﴿جَلَّهَا﴾، في سورة الشمس، و: ﴿تَجَلَّى﴾، في سورة الليل. قال
الطبري: "أقسم بالنهار إذا هو أضاء فأنار، وظهر للأبصار. ما كانت ظلمة الليل قد
حالت بينها وبين رؤيته وإتيانه إياها عيانًا، وكان قتادة يذهب فيما أقسم الله به من
الأشياء أنه إنما أقسم به لعظم شأنه عنده"(٢).

والضمير المؤنث في قوله: ﴿جَلَّهَا﴾، ظاهره أنه عائد إلى الشمس فمعنى تجلية
النهار بالشمس وقت ظهور الشمس. فإسناد التجلية إلى النهار مجاز عقلي، والقسم إنما
هو بالنهار؛ لأنه حالة دالة على دقيق نظام العالم الأرضي. وقيل: الضمير عائد إلى
الأرض، أي أضاء الأرض فتجلت للناظرين، لظهور المقصود، كما يقال عند نزول
المطر: «أرسلت»، يعنون أرسلت السماء ماءها. وقيد القسم بالنهار بقيد وقت التجلية
إدماجًا للمنة في القسم(٣). ويُقال: أقسم بخالق الليل إذا يغشى، يعني: يغشى الليل ضوء
النهار والنهار إذا تجلَّى، يعني: أقسم بالنهار إذا استتار، وتجلَّى عن الظلمة(٤).

وقال الشنقيطي في تفسير سورة الشمس: "وقد أقسم -تعالى- بالنهار إذا تجلَّى:
أي: ظهر ووضح بدون ضمير إلى غيره في قوله تعالى: ﴿وَالَّيْلَ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٣١ / ١٨١).

(٢) جامع البيان، للطبري ت شاكر (٢٤ / ٤٦٥)

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠ / ٣٦٧).

(٤) بحر العلوم، للسمرقندي (٣ / ٥٨٨).

﴿الليل: ١ - ٢﴾، أي: في مقابلة غشاوة الليل يكون بتجلي النهار. وقد بين -تعالى-

عظم آية النهار، وعظم آية الليل، وأنه لا يقدر على الإتيان بهما إلا الله^(١).

ويقول في سورة الليل: "يقسم الله -تعالى- بالليل والنهار وأثرهما على الكون، على

أنهما آيتان عظيمتان"^(٢).

وأما جواب القسم في الموضعين، فقد سبق معنا عند حديثنا عن القسم بالليل، الوارد

في السورتين. ففي الموضع الأول، جوابه، قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٣)،

وعلى هذا وقع القسم^(٣). وفي الموضع الثاني: فجملة قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ

﴿الليل: ٤﴾، جواب القسم^(٤).

ومن خلال ما سبق من بيان على القَسَمِينَ بالنهار في سورتي الشمس والليل،

يظهر أن القسم الأول في سورة الشمس، كان لغرض تسوية النفس وتزكيتها، وأما في

القسم الثاني في سورة الليل، فيظهر لبيان خَلْق الإنسان واختلاف صنفيه، فمنهم من

يسعى في الخير، ومنهم من يسعى في الشر. وعلى ما ذكرناه، فالصلة بين القَسَمِينَ

واضحة. والله أعلم.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٨ / ٥٣٨).

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٨ / ٥٤٤).

(٣) ينظر: النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي،

الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، الناشر: دار الكتب العلمية

- بيروت / لبنان (٦ / ٢٨٤).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠ / ٣٨٠).

المطلب الرابع

القسم بيوم القيامة في القرآن الكريم

أقسم المولى - سبحانه وتعالى - بيوم القيامة في موضعين، الأول في سورة القيامة، والثاني في سورة البروج. قال تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۗ﴾ (القيامة: ١). وقال تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۗ﴾ (البروج: ٢).

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۗ﴾ (القيامة: ١).

أقسم المولى - سبحانه - بيوم القيامة لتعظيمه وتفخيم شأنه، والله أن يقسم بما شاء من خلقه. قال سعيد بن جبیر: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۗ﴾، قال: يقسم ربك بما شاء من خلقه^(١).

"وقد أجمع أهل التفسير أن معناه: أقسم، واختلفوا في تفسير (لا). فقال بعضهم: والكلام زيادة للزينة، ويجري في كلام العرب زيادة لا، كما في آية أخرى. قال: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا أَنْ تَسْجُدَ﴾ (الأعراف: ١٢)، يعني: أن تسجد. وقال بعضهم: لا رد لكلامهم، حيث أنكروا البعث. فقال: ليس الأمر كما ذكر. ثم قال: أقسم بيوم القيامة ويقال: معناه: أقسم برب يوم القيامة إنها كائنة"^(٢).

(١) ينظر: تفسير المراغي (٢٩ / ١٤٦).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (٣ / ٥٢٠).

ونقل الشوكاني عن جماعة من المفسرين: إن لا زائدة، والتقدير: (أقسم)، وهذا ما رجحه الشوكاني^(١).

وقال الخازن: "اتفقوا على أن المعنى أقسم، واختلفوا في لفظ (لا)، فقيل إدخال لفظه (لا) على القسم مستفيض في كلام العرب"^(٢).

وقال الزجاج: "لا اختلاف بين الناس أن معناه: أقسم بيوم القيامة"^(٣).

ومن خلال ما سبق، فإن معنى الآية: أقسم بيوم القيامة، على قول أكثر أهل التفسير، وإن (لا) زائدة.

وجواب القسم في هذا الموضع، ذكر أهل التفسير فيه وجوهاً:

أحدها: أنه محذوف على تقدير ليعثن ويدل عليه: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾^(٣)

﴿القيامة: ٣﴾، وهو قول الجمهور^(٤). قال ابن عاشور: "وجواب القسم يؤخذ من قوله:

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾^(٢)؛ لأنه دليل الجواب، إذ التقدير: لنجمعن عظام

الإنسان، أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه"^(٥).

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٥ / ٤٠٢، ٤٠٣).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤ / ٣٦٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ٢٥١).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٣٠ / ٧٢١).

(٥) التحرير والتنوير (٢٩ / ٣٣٨).

وثانيها: وقع القسم على قوله: ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوِّىَ بَنَانَهُ﴾ (القيامة: ٤)، وهذا قول الحسن (١).

وقال مثله السمعاني (٢): "وقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ هو جواب القسم، وعليه وقع القسم. وقوله: ﴿قَدِيرِينَ﴾، أي: بلى لنجمعنكم قادرين" (٣).

وثالثها: أن هذا ليس بقسم، بل هو نفي للقسم، فلا يحتاج إلى الجواب، فكأنه تعالى يقول: لا أقسم بكذا وكذا على شيء، ولكني أسألك: أيحسب الإنسان أن نجمع عظامه (٤).

ومن خلال ما أوردناه، فإن الأقرب للصواب، هو قول من قال: إن المعنى أقسم بيوم القيامة، الذي لا شك في وقوعه في الوقت الذي نشأؤه، لنجمعن عظامكم - أيها الناس - ولنبعثنكم للحساب والجزاء (٥).

ويستفاد من هذا القسم؛ تأكيد تعظيم المُقسَم به (يوم القيامة)، ومن المعلوم أن العظيم - سبحانه - لا يقسم إلا بعظيم، كما أشرنا إلى ذلك في السابق، والغرض من

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٣٠ / ٧٢١).

(٢) هو: منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر، توفي سنة: (٤٨٩ هـ)، مفسر، من العلماء بالحديث. من أهل مرو، مولدا ووفاة. الأعلام للزركلي (٧ / ٣٠٣).

(٣) تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩ هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ (٦ / ١٠٢).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (٣٠ / ٧٢١).

(٥) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥ / ١٩٨).

القسم، هو تأكيد على أن الناس لا يُتركون سدى بدون حساب؛ بل سيبعثون ويجاوزن على كل أعمالهم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ (البروج: ٢).

في افتتاح السورة بهذا القسم، تشويق إلى ما يرد بعده، وإشعار بأهمية المقسم عليه، وهو مع ذلك يلفت ألباب السامعين إلى الأمور المقسم بها؛ لأن بعضها من دلائل عظيم القدرة الإلهية المقتضية تفرد الله -تعالى- بالإلهية وإبطال الشريك، وبعضها مذكر بيوم البعث الموعود، ورمز إلى تحقيق وقوعه؛ إذ القسم لا يكون إلا بشيء ثابت الوقوع، وبعضها بما فيه من الإبهام يوجه أنفس السامعين إلى تطلب بيانه^(١).

واليوم الموعود: هو يوم القيامة بإجماع المفسرين، وقد كانوا يوعدون به في الدنيا، فهو اليوم الموعود به كل من الفريقين، كما قال -تعالى- في حق المؤمنين: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَقَّوهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٣)، وفي حق الكفار: ﴿فَذَرَهُمْ خَوْضًا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (الزخرف: ٨٣)، وسيعترفون بذلك عند البعث، حينما يقولون: ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس: ٥٢). فالיום الموعود هو: يوم القيامة، الموعود به لمجازات كلا الفريقين على عملهم^(٢).

وقال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وأقسم باليوم الذي وعدته عبادي لفصل القضاء بينهم، وذلك يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وجاء الخبر عن

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠ / ٢٣٧).

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٨ / ٤٧٦).

رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "اليوم الموعود: يوم القيامة"^(١).

وجواب القسم، فيه خلاف عند أهل التفسير، ذكر ابن جزي منها أربعة: "أحدها: أنه قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (البروج: ١٢). والثاني: أنه قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (البروج: ١٠)، وهذان القولان ضعيفان، لبعد القسم من الجواب. وثالثها: أنه قوله: ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُودِ﴾ (البروج: ٤)، تقديره: لقد قتل. ورابعها: أنه محذوف، يدل عليه قوله: ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُودِ﴾، تقديره: لقد قتل هؤلاء الكفار، كما قتل أصحاب الأخدود؛ وذلك أن الكفار من قريش، كانوا يعذبون من أسلم من قومهم، ليرجعوا عن الإسلام، فذكر الله قصة أصحاب الأخدود وعيدًا للكفار، وتأنيسًا للمسلمين المعذبين"^(٢).

وقال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب؛ قول من قال: جواب القسم في ذلك متروك، والخبر مستأنف؛ لأن علامة جواب القسم لا تحذفها العرب من الكلام إذا أجابته"^(٣).

وعليه، فالיום الموعود هو يوم القيامة بإجماع أهل التفسير، وقد أقسم الله -تعالى- به؛ لأنه أعظم الأيام، وفيه سيجزي أصحاب الأخدود بأفعالهم التي ارتكبوها بحق المؤمنين. والله أعلم.

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري ت شاكر (٢٤ / ٣٣٢).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢ / ٤٦٨).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري ت شاكر (٢٤ / ٣٤٠).

الفصل الثالث

القسم بالأمكنة في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: القسم بالأماكن العلوية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: القسم بالأماكن السفلية في القرآن الكريم.

المبحث الأول

القسم بالأماكن العلوية في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: القسم بالسماء في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: القسم بالبيت المعمور في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: القسم بمواقع النجوم في القرآن الكريم.

المطلب الأول

القسم بالسماء في القرآن الكريم

لقد أقسم الله -تبارك وتعالى- بالسماء في ستة مواضع في القرآن الكريم:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾﴾ (الذاريات: ٧-٨).

أداة القسم هنا هي (الواو)، والمقسم به (السماء)، والمقسم عليه -جواب القسم-؛

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾﴾..(١).

"وهذا قسم لتحقيق اضطراب أقوال المشركين في الطعن في الدين، وهو كالتنذيل

للذي قبله؛ لأن ما قبله خاص بإثبات الجزاء، وهذا يعم إبطال أقوالهم الضالة، فالقسم

لتأكيد المقسم عليه، والقول في القسم ب (السماء) كالقول في القسم ب الذاريات"(٢).

والمراد بقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ﴾، قال أبو حيان: "والظاهر في السماء أنه جنس أريد

به جميع السماوات. وقيل: هي السماء السابعة. وقيل: السحاب الذي يظل الأرض"(٣).

ومعنى (الحبك): للعلماء فيه أقوال متقاربة، فذهب بعض أهل العلم إلى أن الحبك

جمع حبيكة أو حباك، أي ذات الطرائق، فما يبدو على سطح الماء الساكن أو الرمل

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية (ص: ٢٨٨).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦ / ٣٤٠).

(٣) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٩ / ٥٤٩). وينظر: جامع البيان، للطبري ت شاعر

(٢٢ / ٣٩٧).

من الطرائق إذا ضربته الريح هو الحبك، وهو جمع حبيكة أو حباك، وممن نُقِلَ عنه هذا القول: الكلبي والضحاك^(١).

وقال مجاهد: المتقن من البنيان، يعني: البناء المحكم^(٢).

وقال بعض أهل العلم: ﴿ذَاتِ الْحُبِّكَ﴾؛ أي ذات الخلق الحسن المحكم، وممن قال به: ابن عباس وعكرمة وقتادة^(٣).

وقال بعض العلماء: ذات الحبك: أي الزينة. وممن روي عنه هذا: سعيد بن جبير والحسن^(٤).

وقال بعض العلماء: ذات الحبك، أي ذات الشدة. والعرب تسمي شدة الخلق حبكًا، ومنه قيل للفرس الشديد الخلق: محبوبك^(٥).

إِذَا فَاَلْمُقَسَمَ عَلَيْهِ -جواب القسم-؛ "﴿إِنَّكُمْ لَنِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾" (الذاريات: ٨)، فالقول المختلف أقوالهم في القرآن وفي النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو خرص كله فإنهم

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٧/ ٤٣٧).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٣٤٢).

(٣) جامع البيان، للطبري ت شاكر (٢٢/ ٣٩٥).

(٤) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٩/ ٥٤٩).

(٥) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٧/ ٤٣٧).

لما كذبوا بالحق اختلفت مذاهبهم وآراؤهم وطرائقهم وأقوالهم فإن الحق شيء واحد وطريق مستقيم فمن خالفه اختلفت به الطرق والمذاهب" (١).

والخلاصة، إن الله -تعالى- أقسم بالسماء، ليؤكد لكفار قريش إنهم لفي ضلال وقول مضطرب ومتناقض، ولا يتلائم مع أمر ما جاء به القرآن الكريم والرسول -صلى الله عليه وسلم-.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾﴾ (الطور: ٥).

وفي هذا الموضع (الواو) هي أداة القسم، والمُقَسَّمُ به (السقف)، وجواب القسم: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾﴾. وفي هذا القسم المكاني، "أقسم المولى -سبحانه وتعالى- بالسقف المرفوع، وهو السماء التي رُفِعَت بلا عمد ترونها" (٢). فهو السماء كما رواه جماعة وصححه الحاكم عن علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه سُئِلَ: فما السقف المرفوع؟، قال: السماء" (٣).

"فالسماة سقفا، والسماء مرفوعة، إذن فالسقف المرفوع هو السماء، وسماه الله سقفاً لأنه قد غمر جميع الأرض من جميع الجوانب، كما يغمر السقف الحجرة من جميع

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية (ص: ٢٨٨).

(٢) التفسير الواضح، الحجازي (٣/ ٥٤٥).

(٣) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، كتاب الكعبة، باب: المسجد الحرام، حديث رقم: (٣٧٠٤).

الجوانب، وإنما أقسم الله -تعالى- بالسماء لما فيها من الآيات العظيمة من نجوم وشمس وقمر، وإحكام وإتقان" (١).

وجواب القسم، قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (الطور: ٧)، "هذا هو المُقسَمُ

عليه، أي الواقع بالكافرين كما قال في الآية الأخرى (٢).

والمعنى: "أي: إن عذاب ربك الذي توعد به الكافرين لكائن لا محالة على شدة،

كأنه مهياً ومعد في مكان مرتفع فيقع وينزل على من يحل به من مستحقه من الكفار

والمكذبين، وفي إضافة العذاب إلى لفظ الرب مع إضافة الرب إلى ضميره - عليه

الصلاة والسلام - أمان له - صلى الله عليه وسلم - وإشارة إلى أن العذاب واقع بمن

كذبه" (٣).

وخلاصة ما سبق، فإن الواو) أداة القسم، و (السقف) مُقسَم به، وجواب القسم: ﴿إِنَّ

عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾. وقد أقسم الله -تعالى-، بالسقف المرفوع -السماء-، ضمن

خمسة أقسام أقسم الله بها في سورة الطور، ليؤكد وقوع عذاب الله لمن يستحق عذابه،

وأنه واقع وكائن لا محالة.

(١) تفسير الحجرات - الحديد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار

الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م (ص: ١٧٥).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/ ٤٣٠).

(٣) التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء (٩/ ١١١٧).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (البروج: ١).

وفي هذا الموضع من سورة البروج، فأداة القسم (الواو)، وقد أقسم المولى - سبحانه وتعالى - بالعالم العلوي، وهو السماء وما فيها من المنازل التي هي أعظم الأمكنة، وأوسعها، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾، ثم أقسم بأعظم الأيام وأجلها، وبكل شاهد ومشهود^(١).

والقسم بالسماء، بوصف ذات البروج، يتضمن قسمًا بالأمرين معًا لتلتفت أفكار المتدبرين إلى ما في هذه المخلوقات وهذه الأحوال من دلالة على عظيم القدرة وسعة العلم الإلهي؛ إذ خلقها على تلك المقادير المضبوطة لينتفع بها الناس في مواقيت الأشهر والفصل^(٢).

وفي معنى (البروج): "جمع برج، فقد اختلف أهل التفسير في المعنى المراد به هنا إلى أقوال كثيرة، ومرجع الأقوال كلها إلى شيء واحد؛ لأن أصل البروج في اللغة الظهور، ومنه تبرج المرأة بإظهار زينتها، فالكواكب ظاهرة، والقصور ظاهرة، ومنازل القمر والشمس كالقصور، بجامع أن الكل محل ينزل فيه، والعلم عند الله - تعالى -"^(٣).

وأما المقسم عليه فقوله تعالى: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ (البروج: ٤)، وهذا جواب القسم - في قول الفراء - واللام فيه مضمرة. وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج، وهذا غلط؛ لأنه لا يجوز لقائل أن يقول: والله قام زيد، على معنى: قام زيد والله. وقال قوم: جواب القسم، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (البروج: ١٢).

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية (ص: ٨٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠ / ٢٣٧).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٢ / ٢٥٦).

(١٢)، وهذا قبيح؛ لأن الكلام قد طال بينهما. وقيل: إن الذين فتنوا. وقيل: جواب القسم محذوف، أي والسماء ذات البروج لتبعثن^(١).

والأظهر أن جواب القسم، دليل محذوف، كأنه قيل: إنهم ملعونون، يعني كفار مكة، كما لعن أصحاب الأخدود^(٢).

ومناسبة القسم، لما أقسم عليه، أن المُقَسَم عليه، تضمن العبرة بقصة أصحاب الأخدود، ولما كانت الأخاديد خطوطاً مجعولة في الأرض، مستعرة بالنار، أقسم على ما تضمنها بالسماء بقيد صفة من صفاتها التي يلوح فيها للناظرين في نجومها ما سماه العرب بروجاً وهي تشبه دارات متألئة بأنوار النجوم اللامعة الشبيهة بتلهب النار^(٣).

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١﴾ (الطارق: ١).

أقسم المولى -سبحانه وتعالى- في سورة الطارق بأمرين: بالسماء، والطارق، وأداة القسم فيهما (الواو)، وقد أقسم الله -تعالى- بهما، بغية دعوة الناس إلى الإذعان بأن لكل نفس حافظ. قال -سبحانه-: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣﴾ إن كل نفسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ (الطارق: ١ - ٤)، فالمقصود أنه -سبحانه- أقسم بالسماء ونجومها

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٩ / ٢٨٦).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٥ / ٣٠٠).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠ / ٢٣٧).

المضيئة، وهذا قسم إلهي، حيث أقسم -تعالى- بالسماء والطارق^(١). وكلّ منهما آية من آيات لله الدالة على وحدانيته^(٢).

وقال كثير من المفسرين: "أقسم الله بالسماء، وبالنجم الطارق؛ لعظم أمرهما، وكبر خلقهما"^(٣).

وقال ابن جزي: "هذه السماء التي أقسم الله بها هي المعروفة. وقيل: أراد المطر؛ لأن العرب قد تسميه سماء، وهذا بعيد والطارق في اللغة ما يطرق أي يجيء ليلاً، وقد فسره الله هنا بأنه النجم الثاقب وهو يطلع ليلاً"^(٤).

وقال ابن عطية: "أقسم الله -تعالى- ب (السماء) المعروفة في قول جمهور المتأولين، وقال قوم: السماء هنا، المطر، والعرب تسميه سماء، لما كان من السماء، وتسمي السحاب سماء"^(٥). وقيل: "إن الله -جل وعلا- عظم قدر السماء في أعين الخلق؛ لما جعلها معدن رزقهم ومسكن أولي القدر من خلقه، وهم الملائكة، وفيها خلق

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م (٥/٥٥٣).

(٢) التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية (ص: ١٠٠).

(٣) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري (٣/ ٧١٤). وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٨/ ٤٩٢). وتفسير المراغي (٣٠/ ١١٠).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢/ ٤٧١).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٥/ ٤٦٤). وينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٥/ ٥٧٤).

الجنة، وخلقها بغير عمد ترى، فأقسم بها؛ لما عظم من شأنها، وجعل مصالحي الأغذية بزيتها" (١).

وأما جواب القسم؛ فبعد أن ذكر المولى -سبحانه- المُقسم به، أتبعه بذكر المُقسم عليه: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (الطارق: ٤) (٢).

وقال الزمخشري: "فإن قلت: ما جواب القسم؟ قلت إن كل نفس لما عليها حافظ لأن «إن» لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة، بمعنى: إلا أن تكون نافية. وفيمن قرأها مخففة على أن «ما» صلة تكون مخففة من الثقلية، وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم" (٣).

وتأويل الآية ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما يكتسب من خير وشر (٤).

والخلاصة، فهذا هو القسم الرابع بالسماء؛ إذ أقسم المولى -سبحانه وتعالى- قسم بالسماء وقرنها مع النجم -الطارق-، والغرض من هذا القسم، هو تأكيد أنه -سبحانه- قد جعل على كل نفس رقيباً وحافظاً يحصيان أعمال كل نفس.

(١) تأويلات أهل السنة، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٥ م (١٠ / ٤٩١).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي (٣١ / ١١٨).

(٣) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٤ / ٧٣٤).

(٤) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (١٠ / ١٧٨).

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ (الطارق: ١١).

أداة القسم هنا (الواو)، والمقسم به (السماء)، وجواب القسم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ

﴿الطارق: ١٣﴾ (١).

فأقسم بالسماء ذات الرجوع، أن هذا القرآن قول فصل، وأقسم على أن القرآن قول

فصل، وفيه الإشارة إلى ما يحفظ به هذا القرآن حال إنزاله (٢).

وفي معنى (ذات الرجوع) أنه ذات المطر؛ لأنها ترجع في كل عام إلى الحالة التي

كانت عليها من إنزال المطر منها. وظن بعض الناس كما بينا أنها ترد ما أخذت من

الأرض من الماء؛ إذ السحاب يستقي من البحر (٣).

وجواب القسم، قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ (١٣)، وهو أن هذا القول الذي تنطق به

آيات الله، هو قول حق، واقع لا شك فيه، وليس هو بالهزل الذي لا تقصد به دلالاته

ومعانيه (٤).

والخلاصة؛ فهذا هو القسم الثالث في السورة، بعد القسم بالسماء وبالطارق، وقد

أقسم الله -تعالى- بالسماء ذات المطر الذي يعود ويتكرر على الأرض، إن القرآن

فاصل بين الحق والباطل؛ بل هو الحق لا الذي لا مرية فيه.

(١) ينظر: إعراب القرآن للدعاس (٣/ ٤٣٨).

(٢) تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ١٥١).

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٣/ ٣١٨).

(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب (١٦/ ١٥٢٥).

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ (الشمس: ٥).

وأقسم المولى - سبحانه وتعالى - في سورة الشمس، بالسماء وبانيها، بناء على أنّ «ما» موصولة، وليست مصدرية، بقرينة الآية التالية: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ (الشمس: ٥)، وقد تضمن هذا القسم الأقسام بالخالق والمخلوق فأقسم بالسماء وبانيها والأرض وطاحيها والنفس ومسويها، وقد قيل إن (ما) مصدرية فيكون الأقسام بنفس فعله تعالى فيكون قد أقسم بالمصنوع الدال عليه وبصنعه الدالة على كمال علمه وقدرته وحكمته وتوحيده^(١). إذ أقسم بالسماء وبناء الله - تعالى - لها بالكواكب، كأن كل كوكب لبنة في سقف، أو قبة تحيط بالأرض وأهلها^(٢).

قال القاسمي: "وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾، أي ومن رفعها، وصيرها بما فيها من الكواكب، كالسقف أو القبة المحكمة الزينة المحيطة بنا. ف (ما) موصولة بمعنى (من) أو ثرت لإرادة الوصفية، أي والقادر الذي أبدع خلقها"^(٣). وقال الطبري: "والسماء، ومن بناها، يعني: ومن خلقها، وبناءؤه إياها: تصييره إياها للأرض سقفا"^(٤).

وجواب القسم، هو قوله - تعالى -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ (١٠ - ٩) (الشمس: ٩ - ١٠)^(٥). وقد وضحنا عنه، عند بيان القسم بوقت ضحى الشمس، في الفصل الثاني - القسم بالآزمنة -.

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية (ص: ١٨).

(٢) التفسير المنير للزحيلي (٣٠ / ٢٥٩).

(٣) محاسن التأويل، القاسمي (٩ / ٤٨١).

(٤) جامع البيان، الطبري ت شاكر (٢٤ / ٤٥٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠ / ٧٦).

المطلب الثاني

القسم بالبيت المعمور القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَأَلْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ (الطور: ٤).

قبل الحديث عن محتوى القسم وغرضه في هذه الآية؛ نشير إلى أن المقصود بالبيت المعمور هو: الضُّراح الذي في السماء، الذي رفع للنبي ليلة الإسراء على القول المشهور^(١). فهو في السماء، والحديث عنه هنا ضمن القسم بالأماكن العلوية.

وأداة القسم هنا (الواو الأولى)، في قوله «تعالى»: ﴿وَأَلْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ (الطور: ١)، وما بعده للعطف، ومنها (الواو) في قوله: ﴿وَأَلْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾. والمقسم به (البيت)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ قَعُ﴾ (الطور: ٧)، جواب القسم^(٢).

والقسم ب: (البيت المعمور) جاء في سورة الطور؛ وذلك ضمن خمسة أشياء، أقسم الله سبحانه وتعالى - بها: (الطور، والكتاب المسطور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور).

وأما معنى البيت المعمور: فالمشهور أنه الضُّراح الذي في السماء الذي رفع للنبي - صل الله عليه وسلم - ليلة الإسراء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم وهو بحيال البيت المعمور في الأرض وقيل هو البيت الحرام ولا ريب أن

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ٢٦٦).

(٢) ينظر: إعراب القرآن العظيم، المنسوب لـ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ)، حققه وعلق عليه: د. موسى على موسى مسعود (رسالة ماجستير)، دار النشر: لا توجد، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ (ص: ٥٠١).

كلا منهما معمور فهذا معمور بالملائكة وعبادتهم وهذا معمور بالطائفين والقائمين والركع والسجود وعلى كلا القولين فكل منهما سيد البيوت" (١).

والمُقَسَّم عليه -جواب القسم-: إن عذاب ربك لواقع لنازل حتمًا، ما له من دافع أي: لا يمنعه مانع، والجملة: صفة لواقع، أي: وقع غير مدفوع. و «من» مزيدة للتأكيد، وتخصيص هذه الأمور بالإقسام بها لأنها أمور عظام، تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى، وكمال علمه، وحكمته الدالة على إحاطته تعالى بتفاصيل أعمال العباد، وضبطها، الشاهدة بصدق أخباره، التي من جملتها: الجملة المقسم عليها" (٢).

والخلاصة، إن الله -تعالى- أقسم ب: (البيت المعمور)، للدلالة على كمال قدرته في إنزال العذاب بالأعداء، دون أن يكون هناك من يدفع عنهم ذلك، فالقسم بيان للتأكيد على وقوع العذاب، وتحقيق الوعيد الذي توعدهم الله -تعالى- به.

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ٢٦٦).

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس بن المهدي (٥ / ٤٨٦).

المطلب الثالث

القسم بمواقع النجوم في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۗ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۗ﴾ (٧٦) إِنَّهُ، لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ (الواقعة: ٧٥ - ٨٠).

لقد سبق الحديث في معنى قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾، في أقسام مشابهة من هذا البحث، وسنكتفي هنا ببيان معنى القسم بمواقع النجوم.

"قال ابن عباس: أراد نجوم القرآن فإنه كان نزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- متفرقاً نجومًا. وقال جماعة من المفسرين: أراد مغارب النجوم ومساقطها. وقال عطاء بن أبي رباح أراد منازلها. وقال الحسن: أراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة"^(١). وقال البيضاوي: "بمواقع النجوم بمساقطها، وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره، أو بمنازلها ومجاريها"^(٢).

وقال الراغب: "الوقوع ثبوت الشيء وسقوطه، يقال: وقع الطائر وقوعًا، وعلى ذلك يراد منه مطالعها ومغاربها، يقال: مواقع الغيث أي مساقطه"^(٣). وهو قول كثير من المفسرين^(٤). ويدل على أن المراد هو مطالع النجوم ومغاربها أن الله -سبحانه- يقسم بالنجوم وطلوعها وجريها وغروبها؛ إذ فيها وفي حالاتها الثلاث آية وعبرة ودلالة^(٥).

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث (١٩ / ٥).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٨٢ / ٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن (٨٨٠ / ١).

(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (٣٣٩ / ٢).

(٥) ينظر: الأقسام في القرآن الكريم، جعفر السبحاني (ص: ٧٩).

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعَلَّمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة: ٧٦)، أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمتها، لعظمتكم المقسم به عليه^(١). وقال المراغي: "أي وإن هذا القسم عظيم لو تعلمون ذلك، وفي هذا تفخيم للمقسم به، لما فيه من الدلالة على عظيم القدرة، وكمال الحكمة، وفرط الرحمة، ومن مقتضيات رحمته، ألا يترك عباده سدى"^(٢).

وأما جواب القسم: فهو قوله -سبحانه-: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٧) ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ (٧٨) ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٩) ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠) (الواقعة: ٧٧ - ٨٠).

"ذكر المُقسَم عليه، أي أقسم بمواقع النجوم إن هذا القرآن قرآن كريم، ليس بسحر ولا كهانة، وليس بمفتري، بل هو قرآن كريم محمود، جعله الله تعالى معجزة لنبيه - صلى الله عليه وسلم-، وهو كريم على المؤمنين، لأنه كلام ربهم، وشفاء صدورهم، كريم على أهل السماء، لأنه تنزيل ربهم ووحيه"^(٣).

وخلاصة القول؛ أقسم المولى -سبحانه- بمواقع النجوم وهي مطالعها ومغاربها، وإنه لقسم بشيء عظيم. وجواب القسم: هو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٧) ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ (٧٨) (الواقعة: ٧٧-٧٨)، لا كما قال المبطلون شعر وسحر وكذب واختلاق.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٥٤٤).

(٢) تفسير المراغي (٢٧/ ١٥٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧/ ٢٢٤).

المبحث الثاني

القسم بالأمكان السفلية في القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: القسم بالبلد الأمين في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: القسم بالطور في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: القسم بالأرض في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: القسم بالبحر في القرآن الكريم.

المطلب الأول

القسم بالبلد الأمين في القرآن الكريم

أقسم الله -تعالى- بهذا البلد في موضعين في القرآن الكريم، الأول في سورة البلد، والموضع الثاني في سورة التين.

الموضوع الأول: قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ

۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ (البلد: ١ - ٤).

أقسم -سبحانه- في سورة البلد بأمر أربعة: البلد، ومن حلّ فيه، ووالد، وما ولد، وقد أقسم بالثاني، كناية، وبما سواه تصريحًا، قال سبحانه: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾.

ابتدئت السورة بالقسم تشويقًا لما يرد بعده، وأطيلت جملة القسم زيادة في التشويق. وقوله: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾، معناه: أقسم^(١).

وقد تقدم ذلك غير مرة في مطالب سابقة. والمراد بهذا البلد، هو مكة إجمالًا؛ لقوله تعالى بعده: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، أي: الرسول -صلى الله عليه وسلم- حل، أي: حال أو حلال بهذا البلد، أي مكة^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (البلد: ٢). الواو هنا للحال، والجملة حال من فاعل لا أقسم، وهو الله -سبحانه وتعالى-، أي لا أقسم بهذا البلد في تلك الحال، التي

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠ / ٣٤٦).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٨ / ٥٢٩).

أنت حل به، فالضمير «أنت» خطاب للنبي صلوات الله وسلامه عليه. والحل: الحلال، المستباح. والمراد بالحل، هنا هو النبي - صلوات الله وسلامه عليه - وأن المشركين لم يرعوا فيه حرمة القرابة، ولا حرمة البلد الحرام الذي يأوى إليه، بل أباحوا سبه وشتمه، وأطلقوا ألسنتهم بكل قالة سوء فيه، بل وتجاوزوا هذا إلى التعرض له بالأذى المادي، حتى لكادوا يجرمون^(١).

وقال الحلبي^(٢): "وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (البلد: ٢)، فيه وجهان، أحدهما:

أن الجملة اعتراضية على أحد معنيين: إما على معنى أنه -تعالى- أقسم بهذا البلد، وما بعده على أن الإنسان خلق في كبد، واعترض بينهما بهذه الجملة، يعني ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد، كما يستحل الصيد في غير الحرم، وإما على معنى أنه أقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلوا من مقاساة الشدائد. واعترض بأن وعده فتح مكة تنميماً للتسلية، فقال: وأنت حل به فيما تستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر، ف «حل» بمعنى حلال^(٣).

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (١٦ / ١٥٦٦).

(٢) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين: مفسر،

عالم بالعربية والقرآت. شافعي، من أهل حلب. استقر واشتهر في القاهرة، وتوفي سنة:

(٧٥٦هـ). ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر (١ / ٤٠٣).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف

بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط،

الناشر: دار القلم، دمشق (١١ / ٥).

وأما جواب القسم في هذه الآيات، "فقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: ٤).
قال ابن عباس: في نصب، وقيل يكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة، وعنه أيضا
قال: في شدة من حمله، وولادته، ورضاعه، وفضامه، وفصاله، ومعاشه، وحياته، وموته
وأصل الكبد: الشدة، وقيل: لم يخلق الله خلقاً يكابد، ما يكابد ابن آدم، وهو مع ذلك
أضعف الخلق" (١).

وقال القاسمي: "أي في شدة، يكابد الأمور يعالجها في أطواره كلها، من حمله إلى
أن يستقر به القرار. إما في الجنة وإما في النار" (٢).
"والسر في التنبيه إلى أن الإنسان قد خلق في عناء - الرغبة في تسلية رسوله -
صلى الله عليه وسلم-، وحضه على عمل الخير والمثابرة عليه، وألا يعبأ بما يلاقه من
الشدائد والمشاق، وأن ذلك لا يخلو منه إنسان" (٣).

وخلاصة ما سبق من القول، فالمقصود أنه -سبحانه-، أقسم في سورة البلد، على
حال الإنسان، وأقسم -سبحانه- بالبلد الأمين وهو مكة أم القرى، ثم أقسم بالوالد وما
ولد، وهو آدم وذريته في قول جمهور المفسرين، وعلى هذا فقد تضمن القسم أصل
المكان وأصل السكان، فمرجع البلاد إلى مكة، ومرجع العباد إلى آدم (٤). والقسم واقع
على قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾... (٥).

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٤ / ٤٢٩).

(٢) محاسن التأويل (٩ / ٤٧٦).

(٣) تفسير المراغي (٣٠ / ١٥٧).

(٤) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية (ص: ٣٥).

(٥) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٥ / ٥٩٠).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٢﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ

﴿التين: ٤﴾.

قال الشنقيطي: "ويظهر والله تعالى أعلم، أنه - سبحانه - لا يقسم بشيء في موضع دون غيره، إلا لغرض يتعلق بهذا الموضع، يكون بين المقسم به والمقسم عليه مناسبة وارتباط، وقد يظهر ذلك جلياً، وقد يكون خفياً. وهذا فعلاً ما تقتضيه الحكمة والإعجاز في القرآن، ومما يشير إلى هذا الموضوع، ما جاء بالإقسام بمكة مرتين، وفي حالتين متغايرتين. الأولى: قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ

﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ (البلد: ١ - ٤). والموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ (التين: ١

- ٤). فالمقسم به في الموضعين: مكة المكرمة، والمقسم عليه في الموضعين خلق الإنسان، ولكن في الموضع الأول، كان المقسم عليه مكابدة الإنسان من أول ولادته إلى نشأته، إلى كده في حياته، إلى نهايته ومماته. من ذلك مكابدته - صلى الله عليه وسلم - منذ ولادته إلى حيث مات أبوه قبله، ولحقت به أمه، وهو في طفولته، وبعد الوحي كابد مع قومه ولقي منهم عنثاً شديداً، حتى تأمروا على قتله، فلأنه يقول له: اصبر على ذلك، فإن المكابدة لا بد منها، وهي ملازمة للإنسان كملازمتك لهذا البلد منذ ولادتك. وفي ذكر ووالد وما ولد إشعار ببداء المكابدة، وبأشدها من حالة الولادة وطبيعة الطفولة؛ ولذا ذكر هنا هذا البلد بدون أي وصف" (١).

أما في الموضع الثاني: "فالمقسم عليه، وإن كان هو خلق الإنسان، إلا أنه في

أحسن تقويم، وهي أعظم نعمة عليه جاء بالمقسم به عرضاً للنعم، وتعددتها من التين

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن (٨ / ٤٤٣)

والزيتون، سواء كان المراد بهما الفاكهة المذكورة أو أماكنها، وهو بيت المقدس مع طور سينين" (١).

ومعنى ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (التين: ٣): هو مكة، وأمين للمبالغة، أي آمن من فيه، ومن دخله وما فيه من طير وحيوان، أو من آمن الرجل بضم الميم أمانة فهو أمين، وأمانته حفظه من دخله ولا ما فيه من طير وحيوان، أو من أمن الرجل بضم الميم أمانة فهو أمين، كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه. ويجوز أن يكون بمعنى مفعول من آمنه لأنه مأمون الغوائل (٢).

قال ابن كثير: "ولا خلاف في ذلك - أن المراد بهذا البلد مكة-، ونقل عن بعض الأئمة: "هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبيا مرسلًا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول: محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم. والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران. والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أرسل فيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- (٣).

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن (٨ / ٤٤٣)

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (١٠ / ٥٠٣). وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٩ / ١٧٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ت سلامة (٨ / ٤٣٤). وينظر: جامع البيان، للإيجي (٤ / ٥٠٨).

هذه كلها أقسام، والمقسم عليه -جواب القسم-، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي

أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ (التين: ٤)، أعدل قامة وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل حيوان منكبًا

على وجهه، إلا الإنسان خلقه مديد القامة، يتناول مأكوله بيده، مزينًا بالعقل والتمييز^(١).

وقال بعض العلماء بالعموم: "أي: الإنسان أحسن المخلوقات تقويما، ولم ير قوم

الحنث على من حلف بالطلاق أن زوجته أحسن من الشمس محتجين بهذه الآية،

وحسن التقويم يشمل جميع محاسن الإنسان الظاهرة والباطنة من حسن صورته،

وانتصاب قامته، وكمال عقله، وحسن تمييزه، والإنسان هنا اسم جنس، وتقدير الكلام:

في تقويم أحسن تقويم لأن أحسن صفة لا بد أن تجري على موصوف^(٢).

"ولقد تضمن هذا الجواب لذلك القسم أكبر مظاهر القدرة والعلم والرحمة وهي موجبة

للإيمان بالله وتوحيده ولقائه وهو ما كذب به أهل مكة وأنكروه وبيان ذلك أن الإنسان

كائن حي مخلوق فخالقه ذو قدرة قطعا وتعديل خلقه بنصب قامته وتسوية أعضائه

وحسن سمته وجمال منظره دال على علم وقدرة وهي موجبة للإيمان بالله ولقائه إذ

القادر على خلق الإنسان اليوم وقبل اليوم قادر على خلقه غدا كما شاء متى شاء ولا

يرد هذا إلا أحمق جاهل^(٣).

(١) ينظر: تفسير البغوي - إحياء التراث (٥ / ٢٧٧).

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٥ / ٦٠٦).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٥ / ٥٩١).

وخلاصة القول لما سبق في القَسَمَيْن، فلا تناقض بينهما؛ لأن المعنى عند كثير من المفسرين: "منتصب القامة معتدلاً، فيكون في معنى أحسن تقويم، ولمراعاة الفواصل في السورتين جاء على ما جاء"^(١). وقد أقسم المولى -سبحانه- بمكة في الموضعين، ففي الموضع الأول: أقسم -سبحانه- بالبلد الحرام في حال حلول الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيه وإقامته به يُبلِّغ دعوته؛ على أن الإنسان خُلق مغموراً في مكابدة الشدائد والصعاب، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: ٤). وفي الثاني: أقسم بالبلد الأمين -مكة- وما ذُكر بعدها؛ على أنه خلق الإنسان في أعدل قامة وأحسن صورة، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، لجنة إحياء التراث الغسلامي -القاهرة- (١/ ٥٢٧).

المطلب الثاني

القسم بالطور في القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكُنُوبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍ مَّشْهُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ (الطور: ١ - ٧).

"افتتح المولى - سبحانه وتعالى - هذه السورة الكريمة بالقسم، بخمسة أشياء؛ هي من أعظم مخلوقاته، للدلالة على كمال قدرته، وبديع صنعته، وتفرد ألوهيته"^(١). قال ابن القيم: "وهذه الأقسام هي مظاهر آياته وقدرته وحكمته، الدالة على ربوبيته ووحدانيته، فالطور، هو الجبل الذي كلم الله عليه نبيه وكليمه موسى بن عمران - عليه السلام - عند جمهور المفسرين من السلف والخلف"^(٢).

وقال الشنقيطي: "أقسم ببعضها بخصوصه، وأقسم بجميعها في آية عامة لها ولغيرها. أما الذي أقسم منها إقسامًا خاصًا فهو الطور، والكتاب المسطور، والسقف المرفوع، وقد أقسم الله تعالى بالطور في سورة التين، قال تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ (التين: ١ - ٢). وأما الآية العامة التي أقسم فيها تعالى بما يشمل جميع هذه الأقسام وغيرها، فهي قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ۝٣٩﴾ (الحاقة: ٣٨ - ٣٩)؛ لأن الإقسام في هذه الآية عام في كل شيء"^(٣).

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (١٤ / ٣٧).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٦٤).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧ / ٤٥١).

وقال بعض أهل اللغة: "كل جبل: طور، فكأنه أقسم بالجبال؛ إذ هو اسم جنس. وقال آخرون: «الطور» كل جبل أجرد لا ينبت شجرًا. وقال مجاهد: «الطور» الجبل بالسريانية، قال ابن عطية: "وهذا ضعيف؛ لأن ما حكاه في العربية يقضي على هذا، ولا خلاف أن في الشام جبلا يسمى ب «الطور» ، وهو طور سيناء. وقيل: إنه الذي أقسم الله به لفضله على الجبال؛ إذ قد روي أن الله تعالى أوحى إلى الجبال إني مهبط على أحدكم أمري. يريد رسالة موسى -عليه السلام-، فتناولت كلها إلا الطور فإنه استكان لأمر الله وقال حسبي الله، فأهبط الله الأمر عليه. ويقال: إنه بمدينة. وقال مقاتل: هما طوران"^(١).

قال الزحيلي: "وقد أقسم الله -سبحانه- بهذا الجبل -جبل طور سيناء-، تشریفًا له وتكریمًا، لما حدث فيه من حادث عظیم وهو تكليم الله موسى فيه، وأنزل عليه التوراة التي كتبت بحروف منتظمة، في جلد رقيق مبسوط. وكانت الجلود أكثر ما يكتب فيها قبل اختراع الورق"^(٢). "والأظهر الأشهر، أنه اسم جبل مخصوص"^(٣).

"ثم أقسم بالكتاب، وقرنه بالطور؛ لأن موسى كان ينزل عليه الكتاب وهو به، وقرن السقف المرفوع، بالبيت المعمور ليعلم عظمة شأن محمد -صلى الله عليه وسلم-"^(٤).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٥/ ١٨٥).

(٢) التفسير المنير للزحيلي (٢٧/ ٥٦).

(٣) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت (٩/ ١٨٤).

(٤) ينظر: تفسير المراغي (٢٧/ ١٨).

ثم أقسم بالسقف المرفوع وهو السماء التي رفعت بلا عمد ترونها، وأقسم بالبحر المملوء نارًا أو هو المملوء ماء، أقسم بهذا كله على أن عذاب ربك لواقع حتما وليس له من دافع يدفعه" (١).

وأما جواب القسم، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۗ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۗ ﴿٨﴾﴾ (الطور: ٧ - ٨)، وهذا هو المُقسَم عليه، أو جواب القسم، أي أقسم بتلك المخلوقات العظيمة، على أن عذاب الآخرة لواقع، كائن لا محالة. ولما كان الذي يقع قد يمكن دفعه، أخبر -سبحانه- أنه لا دافع له، وهذا يتناول أمرين: أحدهما: أنه لا دافع لوقوعه. والثاني: أنه لا دافع له إذا وقع (٢). وفي إضافة العذاب إلى لفظ الرب مع إضافة الرب إلى ضميره - عليه الصلاة والسلام - أمان له -صلى الله عليه وسلم- وإشارة إلى أن العذاب واقع بمن كذبه (٣).

وخلاصة القول لما سبق، هو إن الله -تعالى- أقسم بمخلوقاته، التي ذكرها في معرض القسم، وهي من الآيات الدالة على كمال قدرته، في إيقاع العذاب بأعدائه، دون أن يكون هناك دافع له عنهم.

(١) التفسير الواضح، الحجازي (٣/ ٥٤٥).

(٢) التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم جوزية (ص: ٢٧٠).

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء (٩/ ١١١٧).

المطلب الثالث

القسم بالأرض في القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾ (الشمس: ٦).

لقد أشرنا فيما سبق، إن الله -تبارك وتعالى- أقسم بسبع آيات كونية، في سورة (الشمس)، ابتدأها بالشمس ووقت ضحاها، ثم القمر، والنهار، والليل، ثم السماء، ثم الأرض وما طحاها -موضوعنا في هذا المطلب-، وختَمَها بالشمس ومسويها. ثم جاء المقسم عليه -جواب القسم-. ومع كل آية جاء القسم بها، توجيهًا إلى أثرها العظيم المشاهد الملموس، الدال على القدرة الباهرة، كما في هذه الآية، قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾ (الشمس: ٦)...^(١).

فأقسم بالأرض التي عليها يستقر الإنسان، ويسعى في إعمارها، وما فيها من بديع صنعه -سبحانه- من ماء وزرع وحيوان وطير، وما في جوفها من معادن ومواد لها نفع كبير للإنسان، وجميع ما يلج ويدخل فيها، وما يخرج منها. ﴿وَمَا طَحَّهَا﴾، وأقسم بمن بسطها ومهدها وذلها وهو الله -جل شأنه-؛ وذلك ليعبر على عباده السير فيها والتقلب في جنباتها والمشى في مناكبها ونواحيها، ابتغاء للرزق وسعيًا وراء الخير والنفع، وقيل: طحوها: بسطها^(٢).

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٨ / ٥٣٦).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (١٠ / ١٩٢٦).

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: (طحاها) فقال بعضهم: معنى ذلك: والأرض وما خلق فيها. وهذا مروى عن ابن عباس وغيره. وقال آخرون: يعني بذلك: وما بسطها. ومنهم مجاهد. وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما قسمها. وهذا مروى عن علي وابن عباس^(١). وقال القاسمي: "والأرض وما طحاها أي بسطها. من كل جانب، لافتراضها وازدراعها والضرب في أكنافها. وليس في ذلك دليل على أن الأرض غير كروية، كما يزعم بعض الجاهلين. أي بتحريف الكلم عن معناه المراد منه"^(٢).

وقال القرطبي: "أي وطحوها. وقيل: ومن طحاها، أي بسطها، كذا قال عامة المفسرين، مثل دحاها"^(٣).

وقال المراغي: "والذي بسطها، ومهدا للسكنى، وجعل الناس ينتفعون بما على ظهرها من نبات وحيوان، وبما فى باطنها من مختلف المعادن. ونحو الآية قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ (البقرة: ٢٢). وقصارى ما سلف - إنه بعد أن أقسم - سبحانه - بالضياء والظلمة، أقسم بالسماء وما فيها من الكواكب، وبالذي بناها وجعلها مصدرًا للضياء، وبالأرض والذي جعلها لنا فراشًا ومصدرًا للظلمة، فإنها هي التي يحجب بعض أجزائها ضوء الشمس عن بعضها الآخر، فيظهر فيه الظلام"^(٤).

(١) جامع البيان، للطبري ت شاكر (٢٤ / ٤٥٣).

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي (٩ / ٤٨١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠ / ٧٤).

(٤) تفسير المراغي (٣٠ / ١٦٨).

وخالصة أقوال أهل التفسير في معنى (طحاها)، ثلاثة: (بسطها أو قسمها أو خلقها)، والقول الأول أولى، وهو ما رجحه القنوجي^(١).

وجواب القسم، هو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ۝٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا

﴿الشمس: ٩ - ١٠﴾^(٢). وقد مر معنا في قَسَم سابق، ما يغني عن تكراره، مع بيان

القسم بوقت ضحى الشمس، في الفصل الثاني - القسم بالآزمنة -.

(١) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي (١٥ / ٢٥٤).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠ / ٧٦).

المطلب الرابع

القسم بالبحر في القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾﴾ (الطور: ٦ - ٧).

بعد أن أقسم المولى -سبحانه- بالطور وما تلاه من أقسام؛ أقسم بالبحر المسجور، وهو آية عظيمة من آياته وعجائبه لا يحصيها إلا الله، واختلف في هذا البحر، هل هو الذي فوق السماوات، أو البحر الذي نشاهده على قولين: فقالت طائفة هو البحر الذي عليه العرش وبين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة عام. وهذا القول في البحر الذي تحت العرش، محكي عن علي بن أبي طالب. والثاني أنه بحر الأرض^(١).

وذكره الطبري أيضًا عن علي: "إن هذا البحر المسجور الذي أقسم به ربنا - تبارك- وتعالى، بحر في السماء تحت العرش"^(٢).

واختلف في المسجور، قال الشنقيطي: "فيه وجهان من التفسير للعلماء. أحدهما: أن المسجور هو الموقد نازًا، قالوا: وسيضطرم البحر يوم القيامة نازًا، من هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (غافر: ٧٢) ..."^(٣).

وهذا قول مجاهد والضحاك وغيرهما، وروي أن البحر هو جهنم^(٤). الوجه الثاني: هو أن المسجور، بمعنى المملوء؛ لأنه مملوء ماء، وهذان الوجهان المذكوران في معنى المسجور هما أيضًا في قوله: ﴿وَإِذَا أَلْحَاؤُ سُجِرَتْ﴾ (التكوير: ٦)..^(٥).

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية (ص: ٢٦٦-٢٦٧).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢ / ٤٦٠).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧ / ٤٥٢).

(٤) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٩ / ٥٦٧).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٧ / ٤٥٢).

وقال به قتادة: البحر المسجور: المملوء، وهذا معروف من اللغة، ورجحه الطبري بوجود ماء البحر كذلك، ولا ينافي ما قاله مجاهد؛ لأن سجرت التنور معناه: ملأته بما يحترق^(١). وقال ابن عباس: "المسجور: الذي ذهب مأؤه. وقال آخرون: المسجور: المحبوس"^(٢). وقيل: المسجور: المختلط العذب بالملح. وقيل: المفجور، ويدل عليه: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ (التكوير: ٦). والجمهور: على أن البحر المُقَسَّم به هو بحر الدنيا، ويؤيده: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ (التكوير: ٦) ...^(٣).

وقال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: والبحر المملوء المجموع مأؤه بعضه في بعض، وذلك أن الأغلب من معاني السجر: الإيقاد، كما يقال: سجرت التنور، بمعنى: أوقدت، أو الامتلاء على ما وصفت"^(٤). كما قال لبيد^(٥):

فتوسطا عرض السري وصدعا ... مسجورة متجاوزا قلامها^(٦).

(١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٩/ ٥٦٧).

(٢) جامع البيان، للطبري ت شاكر (٢٢/ ٤٥٩).

(٣) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٩/ ٥٦٧).

(٤) جامع البيان، للطبري ت شاكر (٢٢/ ٤٥٩-٤٦٠).

(٥) هو: لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، الشاعر. أبو عقيل، روى عبد الملك بن عمير. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢ م (٣/ ١٣٣٥).

(٦) البيت للبيد بن ربيعة العامري، من معلقته المشهورة (ينظره في شرح الزوزني على المعلقات السبع، وفي شرح التبريزي على القصائد العشر، وفي جمهرة أشعار العرب ص ٦٣ - ٧٤).

وكما قال النمر بن تولب العكلي^(١):

إِذَا شَاءَ طَالَعَ مَسْجُورَةً ... تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ وَالسَّاسِمَا

سَقَنَهَا رَوَاعِدُ مِنْ صَيِّفٍ ... وَإِنْ مِنْ خَرِيفٍ فَلَنْ يَعْدَمَا^(٢).

فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر، وكان البحر غير موقد اليوم، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور، فبطل عنه إحدى الصفتين، وهو الإيقاد صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم، وهو الامتلاء؛ لأنه كل وقت ممتلئ^(٣).

وأما جواب القسم، فهو ما ذكرناه في موضع القسم بالطور، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ

عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ فُعُّ^(٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ^(٨)﴾ (الطور: ٧ - ٨)، وهذا هو جواب القسم، ومعناه:

"إن عذاب ربك لواقع لنازل. ما له من دافع يدفعه، ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على ذلك، أنها أمور تدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته، وصدق أخباره وضبطه أعمال العباد للمجازاة"^(٤).

(١) هو: النمر بن تولب العكلي ويقال الديلي الشاعر صحابي روى حديثه يزيد بن عبد الله بن الشخير، نزل البصرة وكان جواداً وعمر طويلاً يقال عاش مائتي سنة وهكذا نسبه بن الكلبي والعسكري وغير واحد. تهذيب التهذيب، لابن حجر عسقلاني (١٠ / ٤٧٤).

(٢) البيتان للنمر بن تولب العكلي، كما في خزانة الأدب الكبرى للبغدادي (٤ / ٤٣٤ - ٤٢).

(٣) جامع البيان، للطبري ت شاكر (٢٢ / ٤٥٩ - ٤٦٠).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (٥ / ١٥٢).

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات

الخاتمة

أحمد الله -تعالى- على إتمام هذا البحث، وفي الختام فإنَّ الباحث يضع هنا أهم النتائج التي توصل إليها، ويقدم التوصيات والمقترحات التي وقف عليها، وهي كما يلي:

أولاً: أهم النتائج:

- إن الأزمنة التي أقسم الله بها في القرآن الكريم، بلغت ثمانية، وهي: (الفجر والصبح والضحى والعصر والشفق والليل والنهار ويوم القيامة).
- إن الأمكنة التي أقسم الله بها في القرآن الكريم سبعة: (السماء والأرض والبيت المعمور ومواقع النجوم والبلد الأمين والطور والبحر).
- إن القرآن الكريم استعمل القسم لتوكيد الأخبار إثباتاً للحقائق القرآنية، والقدرات الإلهية.
- إن حرف القسم (الواو)، هو الأكثر استعمالاً في أسلوب القسم.
- إن أكثر السور التي ورد فيها القسم هي سور الجزء الثلاثين، إذ جاء في اثنتي عشرة سورة.

ثانياً: أهم المقترحات:

- يقترح الباحث لطلاب العلم والباحثين ثلاثة عناوين بحثية حول القسم، وهي:
- القسم في القرآن الكريم ونظائره في لغة العرب -دراسة تحليلية مقارنة-.
 - القسم الصريح والغير صريح في القرآن الكريم -دراسة موضوعية-.
 - القسم بالله سبحانه وبأفعاله وصفاته في القرآن الكريم -دراسة موضوعية-
- وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة وتشمل:

- فهرس الآيات

- فهرس الأحاديث النبوية

- فهرس الأعلام

- فهرس المصادر والمراجع

- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٠١	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾	البقرة	٢٢	١٥١
٠٢	﴿فَلَوْلَيْتَكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا﴾	البقرة	١٤٤	٥٦
٠٣	﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾	البقرة	١٨٧	٦٧
٠٤	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾	البقرة	٢٣٨	٩٠
٠٥	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾	النساء	٦٥	٣٠
٠٦	﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾	الأنعام	٢٣	٢٥
٠٧	﴿فَالِقِ الْأُصْبَاحِ﴾	الأنعام	٩٦	٦٥
٠٨	﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ﴾	الأعراف	١٢	١١٩
٠٩	﴿وَأَتَمَمْنَهَا بِعَشْرِ﴾	الأعراف	١٤٢	١٠٨
٠١٠	﴿وَيَسْتَدِينُكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾	يونس	٥٣	٢٣، ٣٥، ٤٥
٠١١	﴿أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ نِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	هود	٥	١٨
٠١٢	﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾	يوسف	٨٥	٢٧
٠١٣	﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾	الرعد	١٢	٣٨

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٤.	﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	إبراهيم	٧	٤
١٥.	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (٣٣)	إبراهيم	٣٣	١١٦
١٦.	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩)	الحجر	٩	٧
١٧.	﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨)	الحجر	٣٧ - ٣٨	١٨
١٨.	﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢)	الحجر	٧٢	٤٣، ٦٠
١٩.	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢)	الحجر	٩٢	٢٣، ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٥٤، ٦١
٢٠.	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)	الحجر	٩٢ - ٩٣	٢٣
٢١.	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٨)	النحل	٣٨	٢٤
٢٢.	﴿تَاللَّهِ لَنَسْعَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ (٥٦)	النحل	٥٦	٣٢
٢٣.	﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِئَنًا لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣)	النحل	٦٣	٣٢
٢٤.	﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾	النحل	٩٨	١٩

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٥.	﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾	الإسراء	٧٨	٦٧
٢٦.	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ (١٨)	مريم	٦٨	٣٣
٢٧.	﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا ﴾	طه	١١٨	٨٥
٢٨.	﴿ وَلَا تَضْحَى ﴾ (١١٩)	طه	١١٩	٨٣
٢٩.	﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴾	الأنبياء	٥٧	٢٦، ٢٥
٣٠.	﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَاقَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾	الأنبياء	١٠٣	١٢١
٣١.	﴿ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ ﴾	النور	٥٨	٦٨
٣٢.	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (١٢٣)	الفرقان	٦٢	١١٦
٣٣.	﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ ﴾	النمل	٤٩	١٤
٣٤.	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَكُمْ ﴾	سبأ	٣	٥٥، ٣٥
٣٥.	﴿ يَسْ ﴾ (١) وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ (٢) إِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣)	يس	١ - ٣	٥٨، ٤٥
٣٦.	﴿ قَالُوا يَا بَوِئَلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٥٢)	يس	٥٢	١٢١

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٧.	﴿ وَالصَّانِفَاتِ صَفًا ۝١ فَالزَّجْرَتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّلْبِيتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ ﴾	الصفات	١ - ٤	٥٠ ، ٣٧
٣٨.	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ۝١٦٥ ﴾	الصفات	١٦٥	٣٧
٣٩.	﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١ ﴾	ص	١	٦٠ ، ٤٦
٤٠.	﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ ﴾	ص	٢	٤٦
٤١.	﴿ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤ ﴾	ص	١٤	٤٦
٤٢.	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَعُوْبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ ﴾	ص	٨٢	٢٣
٤٣.	﴿ ثَمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٣ ﴾	غافر	٧٢	١٥٣
٤٤.	﴿ حَم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ ﴾	الزخرف	١ - ٢	٤٧
٤٥.	﴿ فَذَرَهُمْ يَخُوضُونَ وَيَلْعَبُونَ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝٨٣ ﴾	الزخرف	٨٣	١٢١
٤٦.	﴿ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨ ﴾	الزخرف	٨٨	٤٤
٤٧.	﴿ حَم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ ﴾	الدخان	٢-١	٤٨
٤٨.	﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ ﴾	ق	١	٤٧
٤٩.	﴿ بَلْ عَجِبُوا ۝١ ﴾	ق	٢	٤٧
٥٠.	﴿ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ ﴾	ق	٣	٤٧
٥١.	﴿ وَالذَّرِيَّتِ ذُرُوءًا ۝١ فَالْحَمَلَتِ وَقْرًا ۝٢ فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ ﴾	الذاريات	١ - ٥	٥٩ ، ٣٨

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٥٢.	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ ﴿٧﴾ إِنَّكَ لَعَلَى قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾	الذاريات	٧-٨	١٢٥
٥٣.	﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾	الذاريات	٢٣	٥٩، ٣٣، ٦١
٥٤.	﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾﴾	الطور	١	١٣٥
٥٥.	﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍ مَسْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾﴾	الطور	١-٧	١٤٧
٥٦.	﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾	الطور	٤	١٣٥
٥٧.	﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾﴾	الطور	٥	١٢٧
٥٨.	﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾﴾	الطور	٦-٧	١٥٣، ٥٥
٥٩.	﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾﴾	الطور	٧	١٢٧، ١٢٨، ١٣٥
٦٠.	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾	النجم	١	٦٠، ٥٥
٦١.	﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾	النجم	٥	٧٨
٦٢.	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَفَسَّمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾	الواقعة	٧٥-٧٧	٥٨
٦٣.	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَفَسَّمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾	الواقعة	٧٥-٨٠	١٣٧

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
.٦٤	﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُّصِحِّينَ ۝١٧ ﴾	القلم	١٧	٢٣
.٦٥	﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ ﴾	الحاقة	٣٨ - ٣٩	٩٥
.٦٦	﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ ﴾	الحاقة	٣٨ : - ٣٩	١٤٧ ، ١٠٦
.٦٧	﴿ فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴾	المعارج	٤٠	٩٥ ، ٣٤
.٦٨	﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَهُدًى مَن يَشَاءُ ﴾	المدثر	٣١	٧٤
.٦٩	﴿ كَلَّا وَالْقَمَرَ ﴾	المدثر	٣٢	٧٤ ، ٧١
.٧٠	﴿ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ ﴾	المدثر	٣٣	١٠٣
.٧١	﴿ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٤ ﴾	المدثر	٣٣ - ٣٤	٧٧
.٧٢	﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٤ ﴾	المدثر	٣٤	٧١
.٧٣	﴿ إِنَّمَا لِإِخْدَى الْكَبِيرِ ۝٣٥ ﴾	المدثر	٣٥	٧٣ ، ٧١
.٧٤	﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ ﴾	القيامة	١	١١٨
.٧٥	﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ، ۝٣ ﴾	القيامة	٣	١١٩
.٧٦	﴿ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ نُسَوَّىٰ بِنَانِهِ، ۝٤ ﴾	القيامة	٤	١٢٠
.٧٧	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، ۝٧ ﴾	القيامة	١٧	١٩
.٧٨	﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾	الإنسان	١	١٨
.٧٩	﴿ وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمَلْقِيَتِ ذِكْرًا ۝٥ عُدْرًا أَوْ نُدْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعُ ۝٧ ﴾	المرسلات	١ - ٧	٤٠ ، ٣٩ ، ٥٤

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٨٠.	﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ (٥)	النازعات	٥	٣٩
٨١.	﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾	التكوير	٦	١٥٤، ١٥٣
٨٢.	﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (١٤)	التكوير	١٤	٧٨
٨٣.	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ﴾ (١٥) ﴿لِجَوَارِ الْكُنَسِ﴾ (١٦)	التكوير	(: ١٥ - ١٦)	٩٥
٨٤.	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ﴾ (١٥) ﴿لِجَوَارِ الْكُنَسِ﴾ (١٦) ﴿وَأَلِيلٍ إِذَا عَسَّعَسَ﴾ (١٧) ﴿وَالضُّبْحِ إِذَا نَفَّسَ﴾ (١٨)	التكوير	(: ١٥ - ١٨)	٧٥
٨٥.	﴿وَأَلِيلٍ إِذَا عَسَّعَسَ﴾ (١٧)	التكوير	١٧	١٠٤
٨٦.	﴿وَالضُّبْحِ إِذَا نَفَّسَ﴾ (١٨)	التكوير	١٨	٧٥، ٧١، ٧٥
٨٧.	﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩)	التكوير	١٩	١٠٥، ٧٧
٨٨.	﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (٢٠)	التكوير	٢٠	٧٩
٨٩.	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧) ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩)	التكوير	٢٧ - ٢٩	٧٩
٩٠.	﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمَلِّقِيهِ﴾	الانشقاق	٦	١٠٠
٩١.	﴿وَأَلِيلٍ وَمَا وَسَقَ﴾ (١٧)	الانشقاق	١٧	١٠٦
٩٢.	﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (١٩)	الانشقاق	١٩	٩٩
٩٣.	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (١٦) ﴿وَأَلِيلٍ وَمَا وَسَقَ﴾ (١٧) ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ (١٨)	الانشقاق	(: ١٦ - ١٨)	٩٥
٩٤.	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (١)	البروج	١	١٢٩

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
.٩٥	﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ٢ ﴾	البروج	٢	١١٨ ، ١٢١
.٩٦	﴿ قُلِ اصْحَابُ الْأَخْذُودِ ٤ ﴾	البروج	٤	١٢٩ ، ١٢٢
.٩٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَنَوُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَكُنُوا لَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ١٠ ﴾	البروج	١٠	١٢٢
.٩٨	﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ ﴾	البروج	١٢	١٢٩ ، ١٢٢
.٩٩	﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١ ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢ ﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣ ﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ٤ ﴾	الطارق	٤-١	١٣٠
.١٠٠	﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ٤ ﴾	الطارق	٤	١٣٢
.١٠١	﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ١١ ﴾	الطارق	١١	١٣٣
.١٠٢	﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ١٣ ﴾	الطارق	١٣	١٣٣
.١٠٣	﴿ وَالْفَجْرِ ١ ﴾	الفجر	١	٦٥
.١٠٤	﴿ وَبِالْأَعْيُنِ عَسِرٍ ٢ ﴾	الفجر	٢	٦٧
.١٠٥	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ٤ ﴾	الفجر	٤ ، ٢	١٠٧
.١٠٦	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ٤ ﴾	الفجر	٤	١٠٨
.١٠٧	﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ٥ ﴾	الفجر	٥	٦٨ ، ٦٩ ، ١١٠
.١٠٨	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ ﴾	الفجر	٦	٦٨
.١٠٩	﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾	الفجر	١٣	٦٨
.١١٠	﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ١٤ ﴾	الفجر	١٤	٦٨ ، ١١٠

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١١١.	﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ①﴾	البلد	١	٩٥
١١٢.	﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾	البلد	٢-١	٩١
١١٣.	﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ② وَالْوَالِدِ وَمَا وُلِدَ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ④﴾	البلد	٤-١	١٤٣، ١٤٠
١١٤.	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾	البلد	٤	١٤٦
١١٥.	﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ②﴾	الشمس	٢-١	٥٠
١١٦.	﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩﴾	الشمس	١٠-١	٨١
١١٧.	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④﴾	الشمس	٤	١١٠
١١٨.	﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤﴾	الشمس	٥	١٣٤
١١٩.	﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦﴾	الشمس	٧-٥	٦٠، ٣٥
١٢٠.	﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ⑥﴾	الشمس	٦	١٥٠
١٢١.	﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧﴾	الشمس	٨	٨٣
١٢٢.	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ⑨﴾	الشمس	٩	٨٣
١٢٣.	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩﴾	الشمس	١٠-٩	١٥٢، ١٣٤

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٢٤	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ ۝٣ وَالْأُنثَىٰ ۝٤ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾	الليل	٤-١	٥٩
١٢٥	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾	الليل	١	١١٢
١٢٦	﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾	الليل	٤	١١٢
١٢٧	﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾	الضحى	١	٨٤ ، ٨١
١٢٨	﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾	الضحى	٣-١	٥٥
١٢٩	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾	الضحى	٢	١١٣
١٣٠	﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾	الضحى	٣	٨٤ ، ٨٥ ١١٤ ، ٨٦
١٣١	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾	الضحى	٤	٨٥
١٣٢	﴿وَاللِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾	التين	١	٢٦
١٣٣	﴿وَاللِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾	التين	٢-١	١٤٧
١٣٤	﴿وَاللِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾	التين	٣-١	٦١
١٣٥	﴿وَاللِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾	التين	٤-١	١٤٣
١٣٦	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾	التين	٤	١٤٥
١٣٧	﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾	التين	٥	٩٢
١٣٨	﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	التين	٦	٩٢

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٣٩.	﴿سَلَّمْهُي حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ٥﴾	القدر	٥	٦٨
١٤٠.	﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا ١﴾ فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا ٢﴾ فَالْمُغِيرَتِ صَبْحًا ٣﴾ فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا ٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦﴾	العاديات	٦-١	٥٩
١٤١.	﴿وَالْعَصْرِ ١﴾	العصر	١	٨٧
١٤٢.	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ٢﴾	العصر	٢	٨٧، ٩١، ٩٢
١٤٣.	﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ٢﴾	العصر	١ - ٢	٢٧
١٤٤.	﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ٣﴾	العصر	١-٣	٥٩
١٤٥.	﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ٣﴾	العصر	٣	٩٢

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
٠١	إن العشر عشر الأضحى	١٠٨
٠٢	إن الله يقسم بما شاء من خلقه	٥١
٠٣	إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم	٥١
٠٤	شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر	٨٩
٠٥	قاتل الله أقوامًا أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه	٣٤
٠٦	لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر	٨٩
٠٧	ما مست يد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يد امرأة قط	٩٦
٠٨	من حلف بغير الله فقد كفر	٥١
٠٩	من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله	٨٩
٠١٠	من لا يشكر الناس لا يشكر الله	
٠١١	وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك	٤٣
٠١٢	اليوم الموعود: يوم القيامة	١٢٢

فهرس الأعلام

الصفحة	الاسم	م
٨٣	إبراهيم بن السري بن سهل	.١
٩٨	أبو الحسن على بن أحمد النيسابوري	.٢
١٥	أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا	.٣
٤٣	أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي	.٤
٧٦	أحمد بن مصطفى المراغي	.٥
١٤١	أحمد بن يوسف بن عبد الدايم	.٦
٧٥	جمال الدين (أو محمد جمال الدين	.٧
١٠١	سهل بن محمد بن عثمان	.٨
٦٧	الضحاك بن مزاحم البلخي	.٩
١٠٠	عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار	.١٠
٩٨	عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن	.١١
٦١	عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك	.١٢
١٠٩	عبد الله بن عمر بن محمد بن علي	.١٣
٢٦	عبد الله بن يوسف بن أحمد	.١٤
١٦	علي بن أحمد	.١٥
٧٦	علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي	.١٦
١٤	قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة	.١٧
١٥٤	لبيد بن ربيعة بن عامر	.١٨

الصفحة	الاسم	م
٣٥	مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي	.١٩
٣٩	محمد الأمين بن محمد المختار	.٢٠
٧٦	محمد بن احمد الشربيني	.٢١
١١١	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج	.٢٢
٦٩	محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله	.٢٣
١٠٠	محمد بن السائب بن بشر	.٢٤
٧٣	محمد بن علي بن محمد الشوكاني	.٢٥
٦٥	محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين	.٢٦
٧٣	محمد صديق خان بن حسن	.٢٧
١٩	معمر بن المثنى التميمي	.٢٨
١٢٠	منصور بن محمد بن عبد الجبار	.٢٩
١٥٥	النمر بن تولب العكلي	.٣٠

فهرس المصادر والمراجع

م	اسم المرجع
أولاً	القرآن الكريم
.١	الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م
.٢	إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
.٣	الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢ م
.٤	أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ
.٥	الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ
.٦	الأصطلان في علوم القرآن، أ. د. محمد عبد المنعم القيعي رحمه الله، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م
.٧	أصول في التفسير، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م
.٨	الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج

م	اسم المرجع
	(ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت
٩.	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
١٠.	الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، إعداد: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية
١١.	إعراب القرآن العظيم، المنسوب لـ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنكي (ت: ٩٢٦هـ)، حققه وعلق عليه: د. موسى على موسى مسعود (رسالة ماجستير)، دار النشر: لا توجد، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ
١٢.	إعراب القرآن للدعاس، أحمد عبيد الدعاس - أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، الناشر: دار المنير ودار الفارابي - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ
١٣.	إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (ت: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص -، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ
١٤.	الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر / مايو ٢٠٠٢ م
١٥.	الأقسام في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، مؤسسة الصادق، ط ١، ١٤٢٠
١٦.	إكمال الإكمال، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (المتوفى: ٦٢٩هـ)، تحقيق: د. عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٠ هـ
١٧.	إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٢ م

م	اسم المرجع
١٨.	أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
١٩.	أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
٢٠.	بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)
٢١.	البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ
٢٢.	البداية والنهاية: الحافظ، أبو الفداء، اسماعيل بن كثير الدمشقي، (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
٢٣.	البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية
٢٤.	بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة
٢٥.	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا
٢٦.	تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الربيدي، (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين

م	اسم المرجع
٢٧.	تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٥ م
٢٨.	التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه
٢٩.	التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان
٣٠.	التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤
٣١.	التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزري الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ
٣٢.	تثنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت: ٧٩٤هـ)، الناشر: مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨ م
٣٣.	التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت: ١٤١٩هـ)، دار النشر: دار المعارف - القاهرة، الطبعة: السابعة
٣٤.	تفسير الحجرات - الحديد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
٣٥.	التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ١٣٨٣هـ
٣٦.	تفسير العثيمين (جزء عم)، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض،

م	اسم المرجع
	الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ
٣٧.	تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ
٣٨.	التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة
٣٩.	تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م
٤٠.	التفسير المظهري، المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية - الباكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ
٤١.	التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ
٤٢.	التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٣ هـ
٤٣.	التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى
٤٤.	تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثامنة، ١٤٣٠ هـ
٤٥.	تفسير جزء عم، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ
٤٦.	تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث -

م	اسم المرجع
	بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ
٤٧.	تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دوزي (ت: ١٣٠٠هـ)، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م
٤٨.	تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث ... العربي - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م
٤٩.	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ
٥٠.	التيسير في أحاديث التفسير ، المؤلف: محمد المكي الناصري (ت: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
٥١.	الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
٥٢.	الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
٥٣.	حاشية مقدمة التفسير، (المقدمة والحاشية كلاهما للشيخ ابن قاسم رحمه الله)، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (ت: ١٣٩٢هـ)، الناشر: بدون ناشر، الطبعة: الثانية، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
٥٤.	الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق

م	اسم المرجع
٥٥.	الدر المنثور في التفسير المأثور، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السُّيوطي، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣ م
٥٦.	دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ)، الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م
٥٧.	دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ
٥٨.	روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت
٥٩.	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م
٦٠.	سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٦١.	سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
٦٢.	سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ط٣، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ت: أحمد محمد شاكر.

م	اسم المرجع
٦٣.	سنن الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، ط١، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ت: شعيب الارنؤوط.
٦٤.	السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجِرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٦٥.	سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، محمود محمد غريب، الناشر: دار التراث العربي - القاهرة، الطبعة: الثالثة - ١٤١٨ هـ - ١٩٨٨ م
٦٦.	سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ
٦٧.	شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ
٦٨.	الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
٦٩.	صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٧٠.	صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت

م	اسم المرجع
٧١.	صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
٧٢.	طبقات الحنابلة: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، (المتوفى: ٥٢٦هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي الناشر: دار المعرفة - بيروت
٧٣.	طبقات الحنفية، لأبي محمد عبد القادر محمد بن أبي الوفاء القرشي الحنفي، ... تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٩٨ هـ
٧٤.	العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، الفراهيدي، (ت: ١٧٠هـ)، دار ومكتبة الهلال.
٧٥.	فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ
٧٦.	الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، اشترك في تأليف هذه السلسلة: الدكتور مصطفى الخن، الدكتور مصطفى البغا، علي الشربجي، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الرابعة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م
٧٧.	فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، محمد عبد الحی بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ٢، ١٩٨٢م
٧٨.	قيمة الزمن في القرآن الكريم، د. عودة عبد الله، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، بواسطة: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، (العدد: ٧٤)
٧٩.	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

م	اسم المرجع
٨٠.	لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحبي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ
٨١.	اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٩ هـ
٨٢.	الملحة في شرح الملح، محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (ت: ٧٢٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤م
٨٣.	مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
٨٤.	مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ
٨٥.	المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام النشر: ١٤٢٦ هـ
٨٦.	محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٨ هـ
٨٧.	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

م	اسم المرجع
٨٨.	مختار الصحاح ، لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ترتيب: محمود خاطر ، تحقيق وضبط: حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤١٤ هـ
٨٩.	المخصص، أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: ٤٥٨هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦م، تحقيق: خليل إبراهيم جفال
٩٠.	مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
٩١.	مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م
٩٢.	معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ
٩٣.	معاني القرآن للأخفش، دراسة وتحقيق: عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ
٩٤.	المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
٩٥.	المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل، عبد الفتاح إبراهيم سلامة، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثانية عشرة، العدد السابع والأربعون والثامن والأربعون، رجب - ذو الحجة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

م	اسم المرجع
٩٦.	معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت
٩٧.	معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ابن فارس، (ت: ٣٩٥هـ)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون
٩٨.	مغني اللبيب عن كتب الأعراب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥
٩٩.	مفاتيح الغيب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثالثة - ١٤٢٠ هـ
١٠٠.	من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ)، الناشر: نهضة مصر، القاهرة، عام النشر: ٢٠٠٥م
١٠١.	مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة
١٠٢.	الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة الأولى، مطابع دار الصفاة
١٠٣.	الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م
١٠٤.	ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قانماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ
١٠٥.	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

م	اسم المرجع
١٠٦	النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
١٠٧	الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م
١٠٨	الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م
١٠٩	الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
١١٠	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٤	الشكر والعرفان
٥	مستخلص البحث
٦	Abstract
٧	المقدمة
١٤	التمهيد
٢١	الفصل الأول: القسم في القرآن الكريم
٢٢	المبحث الأول: أركان القسم في القرآن الكريم
٢٣	المطلب الأول: أركان أسلوب القسم.
٢٦	المطلب الثاني: أدوات القسم
٢٩	المبحث الثاني: أنواع المُقسَم به في القرآن الكريم
٣٠	المطلب الأول: القسم بنفسه - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم.

الصفحة	الموضوع
٣٧	المطلب الثاني: القسم بالملائكة - عليهم السلام - في القرآن الكريم.
٤٣	المطلب الثالث: القسم بالرسول - عليهم السلام - في القرآن الكريم.
٤٥	المطلب الرابع: القسم بالقرآن العظيم في القرآن الكريم.
٥٢	المبحث الثالث: أغراض القسم في القرآن الكريم
٥٣	المطلب الأول: تحقيق الخبر وتوكيده.
٥٦	المطلب الثاني: الاهتمام بالمقسم عليه.
٦٠	المطلب الثالث: بيان شرف المُقسم به.
٦٣	الفصل الثاني: القسم بالأزمنة في القرآن الكريم
٦٤	المبحث الأول: القسم بالفجر والصبح والضحى والعصر.
٦٥	المطلب الأول: القسم بالفجر في القرآن الكريم.
٧١	المطلب الثاني: القسم بالصبح في القرآن الكريم.
٨١	المطلب الثالث: القسم بالضحى في القرآن الكريم.
٨٧	المطلب الرابع: القسم بالعصر في القرآن الكريم.
٩٤	المبحث الثاني: القسم بالشفق والليل والنهار وبيوم القيامة

الصفحة	الموضوع
٩٥	المطلب الأول: القسم بالشفق في القرآن الكريم.
١٠٢	المطلب الثاني: القسم بالليل في القرآن الكريم.
١١٥	المطلب الثالث: القسم بالنهار في القرآن الكريم.
١١٨	المطلب الرابع: القسم بيوم القيامة في القرآن الكريم.
١٢٣	الفصل الثالث: القسم بالأمكنة في القرآن الكريم
١٢٤	المبحث الأول: القسم بالأماكن العلوية في القرآن الكريم.
١٢٥	المطلب الأول: القسم بالسماء في القرآن الكريم.
١٣٥	المطلب الثاني: القسم بالبيت المعمور في القرآن الكريم.
١٣٧	المطلب الثاني: القسم بمواقع النجوم في القرآن الكريم.
١٣٩	المبحث الثاني: القسم بالأماكن السفلية في القرآن الكريم
١٤٠	المطلب الأول: القسم بالبلد الأمين في القرآن الكريم.
١٤٧	المطلب الثاني: القسم بالطور في القرآن الكريم.
١٥٠	المطلب الثالث: القسم بالأرض في القرآن الكريم.
١٥٣	المطلب الرابع: القسم بالبحر في القرآن الكريم.

الصفحة	الموضوع
١٥٦	الخاتمة:
١٥٧	النتائج والمقترحات:
١٥٨	الفهارس العامة:
١٥٩	فهرس الآيات
١٧٠	فهرس الأحاديث
١٧١	فهرس الأعلام
١٧٣	المصادر والمراجع
١٨٦	فهرس الموضوعات